كتب الفراشة ـ القصص العالميّة

عَوْدَةُ المُوَاطِن

كتب الفراشة ـ القِصَص العالميّة

عَوْدَةُ المُوَاطِن

تأليف : تومَاس هَاردي
تَرجَمَة : محمّد حِلمي محمُود
مُرَاجعَة : وَجْدي رزق غَالي

مَكتَبة لبنَان نَاشِرُون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٣-١١
بيروت - لبنان
وكلاء ومُوزّعون في جميع أنحاء العالم

© الحقوق الكاملة محفوظة
لمكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل

الطبعة الأولى ١٩٩٥
رقم الكتاب 196811 C 01
طُبع في لبنان

مقدّمة

ظَهَرَتْ رِوايَةُ توماس هاردي «عَوْدَةَ المُواطِنِ» [The Return of the Native] في اثْنَيْ عَشْرَةَ حَلْقَةً في «مَجَلَّة بلْغرافيا» سَنَةَ ١٨٧٨، ثُمَّ نُشِرَتْ في كِتابٍ واحِدٍ في العامِ نَفْسِهِ. وهِيَ واحِدَةٌ مِنْ بَواكيرِ رِواياتِهِ الَّتي لاقَتِ استِحْسانًا لَدى النُّقّادِ ورَواجًا لَدى الجُمْهورِ.

يَعودُ الفَضْلُ في نَجاحِ هٰذِهِ الرِّوايَةِ إلى مَتانَةِ الحَبْكَةِ في قِصَّةِ الحُبِّ الَّتي تُعالِجُها. وقَدْ كانَ هاردي مُولَعًا بِفِكْرَةِ حُبِّ رَجُلَيْنِ لِامْرَأَةٍ واحِدَةٍ تَقَعُ في حَيْرَةِ الاخْتِيارِ بَيْنَهُما. فَهُوَ هُنا يَرْسُمُ، بِدِقَّةٍ نابِضَةٍ، شَخْصِيَّةَ الفَتاةِ الجَميلَةِ يوستاسيا فاي الَّتي يَقودُها حُبُّ المُغامَرَةِ والإثارَةِ إلى الزَّواجِ مِنْ رَجُلٍ بِالرَّغْمِ مِنْ حُبِّها لِرَجُلٍ آخَرَ. ويُظْهِرُ لَنا هاردي كَيْفَ أَنَّ تَرَدُّدَ يوستاسيا واخْتِيارَها الخاطِئَ سَبَّبا سِلْسِلَةً طَويلَةً مِنَ التَّعْقيداتِ والآثارِ السَّلْبِيَّةِ عَلى مَجْرى حَياةِ العَديدِ مِنَ الأَشْخاصِ الَّذينَ تَحَكَّمَتْ بِهِمْ شَبَكَةٌ مُعَقَّدَةٌ مِنَ العَلاقاتِ المُشَوَّشَةِ والأَهْواءِ المُتَضارِبَةِ.

لَمْ يَهْتَمَّ هاردي بِالنّاسِ فَحَسْبُ، وإنَّما بِالبيئَةِ الَّتي يَعيشونَ فيها أَيْضًا. فَقَرْيَةُ «إغدون هيث» - مَسْرَحُ الأَحْداثِ - تَقَعُ في مُقاطَعَةِ «دورْسِت» الرّيفِيَّةِ حَيْثُ نَشَأَ هاردي، ولِذٰلِكَ وَصَفَها بِالتَّفْصيلِ في كِتابِهِ. وهُوَ يُشيرُ إلى مَدى تَأْثيرِ هٰذِهِ البيئَةِ في رَسْمِ شَخْصِيّاتِ النّاسِ وأَعْمالِهِمْ. ويُشَدِّدُ عَلى أَنَّ النّاسَ يَتَنَقَّلونَ ويَتَغَيَّرونَ أَمّا المِنْطَقَةُ فَتَظَلُّ ثابِتَةً. إنَّنا، في الواقِعِ، نَلْمَسُ أَنَّ في «إغدون هيث» نَمَطَ حَياةٍ تَقْليديًّا راسِخًا لا يَتَبَدَّلُ مَهْما حاوَلَ كليم يوبرايت تَغْييرَهُ أَوْ مَهْما حاوَلَتْ يوستاسيا مُقاوَمَتَهُ وتَجَنُّبَهُ.

وتَبْرُزُ، في الرِّوايَةِ، فِكْرَةُ هاردي الرَّئيسيَّةُ، وهِيَ أَنَّ لِلبيئَةِ الرِّيفيَّةِ تأْثيرًا عَميقًا عَلى سَعادَةِ الأَفْرادِ. فَيوسْتاسيا قاي لَنْ تَعْرِفَ الرِّضا أَبَدًا في «إغدون هيث» لِأَنَّها تَكْرَهُ قَساوَةَ تِلْكَ القَرْيَةِ وكآبَتَها، وتَتوقُ إلى بَهْجَةِ حَياةِ باريس وإشْراقِها. أَمّا كلِم يوبرايت، الَّذي وُلِدَ في القَرْيَةِ، فَإِنَّهُ ظَلَّ -في غُرْبَتِهِ- دائِمَ الحَنينِ إِلَيْها لِاقْتِناعِهِ بِأَنَّهُ لَنْ يَذوقَ طَعْمَ السَّعادَةِ خارِجَ مَوْطِنِهِ. والانْطِباعُ الَّذي يُريدُنا هاردي أَنْ نَخْرُجَ بِهِ هُوَ أَنَّ المَرْءَ لا يُحَقِّقُ سَعادَتَهُ إِلّا إِذا كانَ مُنْسَجِمًا مَعَ نَفْسِهِ ومَعَ مُحيطِهِ.

كانَ اللَّيْلُ يُرْخي سُدولَهُ عَلى إغدون هيث في يَوْمٍ غائِمٍ مِنْ أَيّامِ شَهْرِ نوڤمْبر، وَقَدْ لاحَ المَكانُ وَكَأَنَّهُ يَزْفِرُ مِنْ جَوْفِهِ الوَحْشَةَ وَالظَّلامَ موحِيًا بِنُزولِ فاجِعَةٍ.

وَعَلى الطَّريقِ كانَ يَمْشي عَجوزٌ أَشْيَبُ الشَّعْرِ مُحْدَوْدِبُ الظَّهْرِ، وَقَدْ دَسَّ نَفْسَهُ في زِيِّ ضابِطٍ بَحْرِيٍّ. ولَمَحَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ عَرَبَةً يَجُرُّها حِصانٌ وَهِيَ مِثْلُ كُلِّ العَرَباتِ شَكْلًا إلّا في لَوْنِها الأَحْمَرِ المُتَمَيِّزِ. الَّذي كانَ هُوَ لَوْنَ ثِيابِ الحوذِيِّ الَّذي يَقودُ تِلْكَ العَرَبَةَ. وَكانَ اسْمُهُ ديغوري ڤين، الصَّبّاغَ. وَكانَ يَضْرِبُ في الأَرْضِ العَريضَةِ فَيَبيعُ صِبْغَةً كَلَوْنِ التُّرابِ الأَحْمَرِ تُسْتَعْمَلُ في تَمْييزِ الماشِيَةِ.

وَتَبادَلَ العَجوزُ وَالصَّبّاغُ عِباراتِ التَّحِيَّةِ، ثُمَّ تَقَدَّمَ العَجوزُ ونَظَرَ داخِلَ العَرَبَةِ، وَسَأَلَ الحوذِيَّ: «أَفي العَرَبَةِ شَيْءٌ زائِدٌ عَلى حِمْلِكَ؟»

قالَ الحوذِيُّ: «أَجَلْ! شَخْصٌ ما في مِحْنَةٍ – سَيِّدَةٌ شابَّةٌ الْتَقَطْتُها عِنْدَ مَوْقِفِ الْجلبري. وَلَيْتَها تَظَلُّ غارِقَةً في سُباتِها حَتّى أُبْلِغَها دارَها.» فَقالَ العَجوزُ: «أَلَيْسَتْ هِيَ فَتاةَ بلومز إند الَّتي لا تَزالُ تَلوكُ سيرَتَها الأَلْسُنُ؟» وَأَجابَ الحوذِيُّ: «لا عَلَيْكَ يا سَيِّدي! عَلَيْنا أَنْ نَفْتَرِقَ الآنَ؛ فَإِنّي في حاجَةٍ إلى الرّاحَةِ. طِبْتَ مَساءً!»

تَلَفَّتَ الصَّبَّاغُ حَوْلَهُ وَسَرَّحَ الطَّرْفَ فِي الأَكَمِ الصَّغيرَةِ والوِهادِ والشُّروخِ الَّتي تَصاعَدَتْ لِتَنْتَهِيَ إلى مَدْفَنٍ قَديمٍ تَعالى وَطَغى عَلى المَكانِ. وَإِذْ راحَ يُحَدِّقُ في ذٰلِكَ المَدْفَنِ رَأى في أَعْلاهُ شَخْصًا أَشْبَهَ بِتِمْثالٍ أَوْ حَرْبَةٍ خوذَةٍ. تَحَرَّكَ الشَّخْصُ فَجْأَةً وَانْزَلَقَ في الجانِبِ الآخَرِ مِنَ المَدْفَنِ، كَانْزِلاقِ قَطْرَةِ النَّدى عَلى البُرْعُمِ، وَتَوارى عَنْ ناظِرَيْهِ. وَبَدا واضِحًا مِنْ تَحَرُّكاتِ ذٰلِكَ الشَّخْصِ أَنَّهُ امْرَأَةٌ.

وَما إِنْ غادَرَتِ المَرْأَةُ ذٰلِكَ المَكانَ حَتّى لاحَ نَفَرٌ مِنَ الرِّجالِ وَالفِتْيانِ راحوا يَصْعَدونَ المَدْفَنَ بِمَشَقَّةٍ وَيَتَحَلَّقونَ حَوْلَهُ، حامِلينَ حُزَمًا مِنَ الحَطَبِ كانوا قَدْ جَمَعوها ثُمَّ جَعَلوا مِنْها هَرَمًا عَلى رَأْسِ الأَكَمَةِ. لَقَدْ كانوا يَتَهَيَّأونَ لِإِيقادِ نارٍ، إِذْ كانَ ذٰلِكَ أَحَدَ تَقاليدِهِم في ريتبارو، يَتَّبِعونَهُ، مُنْذُ أَجْيالٍ عَديدَةٍ، في الخامِسِ مِنْ شَهْرِ نوڤمبر مِنْ كُلِّ عامٍ.

وَكانَ مِنْ بَيْنِ موقِدي النّارِ الجَدُّ كانتل. ذٰلِكَ الشَّيْخُ الَّذي انْطَلَقَ يَرْقُصُ حَوْلَ النّارِ مُتَرَنِّمًا بِبَعْضِ المَواويلِ القَديمَةِ الغَريبَةِ. وَوَقَفَ بِجوارِهِ ابْنُهُ كريستيان السّادَجُ، الَّذي كانَ يَرْقُبُهُ في إعْجابٍ وَقَلَقٍ.

وَلَمّا تَوَقَّفَ الشَّيْخُ لِيَسْتَرِدَّ أَنْفاسَهُ، اسْتَدارَ إلى تيموثي فيرويي قائِلًا: «حَدِّثْني عَنِ العَريسَيْنِ الجَديدَيْنِ في فُنْدُقِ كوايت ووِمان.»

أَجابَهُ فيرويي: «في بادِئِ الأَمْرِ مَنَعَتِ السَّيِّدَةُ يوبرايت، امْرَأَةُ عَمِّ الفَتاةِ، طُقوسَ عَقْدِ الزَّواجِ مِنَ الإِتْمامِ بِأَنْ أَعْلَنَتْ رَفْضَها لِهٰذا الزَّواجِ، لٰكِنَّها عادَتْ وَعَدَلَتْ عَنْ رَأْيِها في النِّهايَةِ.»

صاحَ الجَدُّ كانتل: «إِذًا أَصْبَحَ دامون ويلديف وَتوماسين يوبرايت آخِرَ الأَمْرِ زَوْجَيْنِ.»

أَجابَ تيموثي: «يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ، لٰكِنَّ ذٰلِكَ التَّحَوُّلَ كانَ غَريبًا مِنَ السَّيِّدِ ويلديف؛ إِذْ إِنَّهُ كانَ قَدْ أَعَدَّ نَفْسَهُ لِيَكونَ مُهَنْدِسًا. أَمّا الآنَ فَهُوَ مالِكٌ لِلْكوايت ووِمان.»

وَعَقَّبَ الشَّيْخُ: «إِنَّ ذٰلِكَ الزَّواجَ هُوَ الَّذي جاءَ بِكليم بويرايت مِنْ باريس، وَإِنَّ حُضورَهُ لَمُنْتَظَرٌ في أَيَّةِ لَحْظَةٍ، كَما يُشاعُ.»

وَبَيْنَما كانا يَتَجاذَبانِ أَطْرافَ الحَديثِ، لَمَحا نارًا تَسْطَعُ عَلى بُعْدِ ميلٍ في أَرْضِ مَنْزِلِ الضّابِطِ الشَّيْخِ في ميستوفر. قالَ أَحَدُ القَرَوِيّينَ: «إِنَّ ذٰلِكَ الضّابِطَ غَريبُ الأَطْوارِ؛ إِذْ كَيْفَ يوقِدُ نارًا في مَكانٍ حَبْثٍ لا شَبابَ يَتَمَتَّعونَ وَيَمْرَحونَ؟»

قالَ فيرويي: «بَلْ إِنَّها حَفيدَتُهُ، كَما أَعْتَقِدُ. هِيَ الَّتي أَوْقَدَتِ النّارَ. وَإِنَّها لَفَتاةٌ غَريبَةُ الأَطْوارِ تِلْكَ الَّتي تَعيشُ هُناكَ مَعَ جَدِّها الشَّيْخِ وَحْدَهُما.»

وَإِذْ راحَ القَوْمُ بَعْدَ ذٰلِكَ يَرْقُصونَ وَيَمْرَحونَ حَوْلَ جَذْوَةِ النّارِ الآخِذَةِ في الخُمودِ، مُصاحَبينَ بِبِضْعِ نِساءٍ مِنَ الفَلّاحاتِ، شاهَدوا غَريبًا يَدْنو مِنْهُمْ بِعَرَبَتِهِ. وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ الغَريبُ سِوى الصَّبّاغِ – الَّذي تَحَدَّثْنا عَنْهُ آنِفًا – حامِلًا داخِلَ عَرَبَتِهِ، تِلْكَ المُسافِرَةَ الخَفِيَّةَ الَّتي لَمْ تَزَلْ بِصُحْبَتِهِ.

قالَ الصَّبَاغُ : «طابَتْ أُمْسِيَتُكُمْ. هَلْ ثَمَّةَ طَرِيقٌ تَسْلُكُهُ العَرَبَاتُ إلى دارِ السَّيِّدَةِ يوبرايت؟» فأجابَ تيموثي فيرويي : «أجَلْ. اتَّبِعْ هٰذا الطَّرِيقَ إلى اليَمِينِ.»

وَما كادَ الصَّبَاغُ يَتَوارى عَنْ أَنْظارِ القَوْمِ حَتّى دَنا شَبَحُ شَخْصٍ آخَرَ إلى حَيْثُ النّارُ الخابِيَةُ. وَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ الشَّبَحُ سِوى الأَرْمَلَةِ المُبَجَّلَةِ الَّتي جاوَزَتْ طَوْرَ الشَّبابِ، السَّيِّدَةِ يوبرايت الَّتي كانَتْ تَقْطُنُ أَحَدَ الأَكْواخِ في بلومز-إند مَعَ ابْنَةِ شَقِيقِ زَوْجِها الشّابَّةِ توماسين. وَكانَتْ تَبْدو عَلى تِلْكَ السَّيِّدَةِ المُتَقَدِّمَةِ المِسِنَّةِ أَمارَاتُ الجَلالِ وَقُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ. وَلا غَرْوَ فَقَدْ كانَتِ ابْنَةَ رَجُلِ دِينٍ فَنَشَّتْ أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ.

صاحَ فيرويي : «يا لَلْمُصادَفَةِ! إنَّها السَّيِّدَةُ يوبرايت. سَيِّدَتي. مُنْذُ أَقَلَّ مِنْ عَشْرِ دَقائِقَ كانَ الصَّبَاغُ يَسْأَلُ عَنْكِ!»

«وَماذا كانَ يُرِيدُ؟»

«لَمْ يَقُلْ لَنا يا سَيِّدَتي. بَيْدَ أَنَّهُ انْطَلَقَ إلى مَنْزِلِكِ. وَإنّي لَيَسُرُّني أَنْ أَعْلَمَ بِعَوْدَةِ ابْنِكِ كليم إلى أَرْضِ الوَطَنِ.»

قالَتِ السَّيِّدَةُ يوبرايت : «شُكْرًا لَكَ. يا فيرويي. مَعْذِرَةً إذْ لا بُدَّ لي مِنَ المُغادَرَةِ الآنَ. فَإنّي ذاهِبَةٌ في التَّوِّ إلى بَيْتِ توماسين الجَديدِ. فَإنَّها عائِدَةٌ اللَّيْلَةَ بِرُفْقَةِ زَوْجِها.»

«طابَتْ لَيْلَتُكِ، يا سَيِّدَتي. وَلَعَلَّكِ تَعْثُرِينَ عَلى الصَّبَاغِ في طَرِيقِكِ.»

وَعِنْدَ سَفْحِ التَّلِّ سَلَكَتِ السَّيِّدَةُ يوبرايت الطَّرِيقَ المُؤَدِّيَةَ إلى فُنْدُقِ الكوايت وومان، مُعْتَقِدَةً أَنَّ ابْنَةَ أَخي زَوْجِها هُناكَ مَعَ زَوْجِها رامون ويلديف بَعْدَ أَنْ عُقِدَ قِرانُهُما في أنجلبري. وَبَعْدَ قَلِيلٍ لَمَحَتِ الصَّبَاغَ مُقْتَرِبًا بِمِصْباحِهِ وَهُوَ يَقُودُ عَرَبَتَهُ، فَبادَرَها قائِلًا : «إنَّهُ لَيَحْزُنُني أَنْ أَحْمِلَ إلَيْكِ أَنْباءً غَيْرَ سارَّةٍ عَنِ الآنِسَةِ توماسين!»

قالَتِ السَّيِّدَةُ يوبرايت في انْزِعاجٍ : «لٰكِنَّها عادَتْ إلى بَيْتِها لِتَوِّها بِرُفْقَةِ زَوْجِها!»

قالَ الصَّبَاغُ : «لَيْسَتْ في الكوايت وومان، يا سَيِّدَتي. لَمْ أَكُنْ أُحِبُّ أَنْ أَقُولَها لَكِ، إنَّها هُنا في عَرَبَتي!»

صَرَخَتِ السَّيِّدَةُ يوبرايت، وَقَدْ أَخْفَتْ عَيْنَيْها بِكَفَّيْها قائِلَةً : «ماذا حَدَثَ لَها؟»

«لا أَعْرِفُ عَلى وَجْهِ التَّحْقيقِ، يا سَيِّدَتي، إلّا أَنَّني كُنْتُ عَلى الطَّريقِ صَباحَ اليَوْمِ خارِجَ أَنجلبري فَهَرْوَلَتْ إِلَيَّ توماسين مُمْتَقِعَةَ اللَّوْنِ وَصَرَخَتْ قائِلَةً: «أَغِثْني يا ديغوري فَإِنّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ! إِنَّني في مِحْنَةٍ!» وَما لَبِثْتُ أَنِ انْهارَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْها. فَقَرَّرْتُ المَجيءَ بِها إِلى المَنْزِلِ.» هُنا نَظَرَتِ السَّيِّدَةُ إِلى قَلْبِ العَرَبَةِ فَأَلْفَتْ توماسين نائِمَةً فيها. وَما تَبَيَّنَتْ مَلامِحَها إِلّا في نورِ المِصْباحِ، حَيْثُ رَأَتْ وَجْهًا خالِيَ القَسَماتِ تُشِعُّ مِنْهُ البَراءَةُ. مُسْتَرْخِيًا في عُشٍّ مِنْ شَعْرٍ مُمَوَّجٍ كَسْتَنائِيِّ اللَّوْنِ. إِلّا أَنَّ القَلَقَ كانَ بادِيًا عَلى ذَلِكَ المُحَيّا حَتّى في رَقْدَتِهِ. وَما لَبِثَتِ الفَتاةُ أَنْ فَتَحَتْ عَيْنَيْها لِتَشْهَدَ عَلاماتِ الذُّهولِ بادِيَةً في عَيْنَيِ امْرَأَةِ عَمِّها. صَرَخَتِ السَّيِّدَةُ بوبرايت وَهِيَ تَميلُ عَلَيْها لِتُقَبِّلَها: «أَوّاهُ! توماسين. توماسين! أَوّاهُ! ابْنَتي العَزيزَةَ! ماذا جَرى؟»

فَقالَتِ الفَتاةُ: سَأُخْبِرُكِ بِجَميعِ التَّفاصيلِ. لَكِنّي الآنَ أُفَضِّلُ قَطْعَ بَقِيَّةِ المَسافَةِ مَعَكِ سَيْرًا عَلَى الأَقْدامِ. فَهِيَ لَيْسَتْ بِبَعيدَةٍ.» وَلَمّا كانَتا خارِجَ مَجالِ سَمْعِ الصَّبّاغِ الْتَفَتَتِ السَّيِّدَةُ بوبرايت إِلى توماسين وَخاطَبَتْها بِلَهْجَةٍ حادَّةٍ لا تَخْلو مِنْ فَظاظَةٍ: «وَالآنَ، يا توماسين. ما مَعْنى هذا الشَّيْءِ المُشينِ؟»

أنا توماس، أنا قهوة شوب الشوارع فقد أحببت. بعدة أني لم أتزوج. هذه هي مشكلة! فوجئ الذين عمل رقصة عقد قرينا بسبب عقص الزواج بسيطة.»

«أنا لوبيز»

لا أدري، يا عمتي. إلا أن ويليديف يستطيع يصبح كل شيء نفسه.»

وجدت سيدة يوريت بجوار شوبه حسن! سلمت في فندق سيدة يتلقي ديك ليصبح من ويليديف وفي تلك الأمسية ضربت السيدة يوريت على أن تصبحها توماس في فندق كويت وومن

وذهبت السيدة بوفاري من الممر وفتحت الباب ودخلت حيث كان ويليام شكسبير. نهض وقبل عليهما الملاقي مرحبا.

وقد تجرد ويليام هذه المرة من ثيابه الفاخرة. وقد بدت من أعضائه سمات المعشوق الأسيء. فبدت بنحافة جسده وزوجة من شعر غزير وحيد تبع أمس مستدير. لكن بصفته الأشقر كان رشيقا كأحسن ما يكون. وسرعان ما أقبل على توماسين يسألها: كيف عدرت سكان على هذه الصورة؟ ثم استدار إلى السيدة بوفاري وأضاف قائلا: لقد كنت كتبت مجرد عفوية لتصريح مزوج لا يسري في الخمري بل في بدموث، وقد فاتني أن ألحظ هذا. فالذنب ذنبي عن تلك الغلطة غير المقصودة.

قالت السيدة بوفاري: وإنه لعار أتى عار في أمرتي. وهو ما لا يمكن بسيانه.

وسأل ويليام السيدة بوفاري أن تتركهما لمحفة

قالت توماسين متوسلة: هذا لأمر بقتلني. يا دموث. فماذا ترى؟ هل تبقى الأقتران بي؟

«لا شك، يا عزيزتي. فهذا أمرة سهل. فما عليك إلا لمضي إلى بدموث يؤم الإثنين لقادم

قالت توماسين: إني لا يعنيني شيئا هذا لأمر. وإني أستطيع العيش بدموث. بل إنها أمرة غمي هي التي أفكر فيها. وإنها سرقوة فحور وقد حظ هذا من كرمتها. وهذا ما سوف يكون له وقع سعصنة على أن عمي كيم عندما يعود إلى أرض لوص!»

صاح ويليام فيها: «آه، فقد وخيبت بي السيدة بوفاري هذه الفعة عندما حدثت بيننا وبين زوج. ولو كنت أمرأة فقط لتنفست يدي من هذه الزيجة».

فجأة حدثت جلبة خارج الغرفة. إذ سمعت خطوات قوية على الأقل وذلك يختلف بغروسيي خطيبي الزوج. كما دار في خلدهما.

وتدافعت السيدة بوفاري إلى بعرفه وهي تصيح: توماسين. توماسين. ها هي ذي فصيحة كلية. فتهربي في خلسة. هيا!

لكنّ ويلدينغ صاح: «لا! توقّف! إلى جانبٍ يا هوبس، يا عزيزي. لا تقدمي على أيّ عمل يخصّ عليك سوف نتروّح. صدّقيني! وسأذهب الآن إلى هؤلاء المحقّقين الطفيليين! لكنّه قبل أن يفعل، كان قد انتشى في الممرّ جُرعتين من النعناع من شفة تيمبلي فيروبي وكريستين كابل وسام قصع الشجر

وإذ تبيّن لويلدينغ أنّ المأزق حلّ في المناقع. فرح فحث بإبريق من الجعة فقدّمه للزائرين. وأحدث هذا ردّ فعل سريعا. إذ سرعان ما أحسّوا بالنشوة والنهجة، وتمكّنت السيّدة بوبريت وتوماسين من التسلّل جانبيّن من باب الحظيرة

وقبل أن يغدر الفروبيون بمكان لمحا لسان نار الّتي كانت منشغلة في حديثة بوستاسيا وحدّه الضابط الحربيّ المتقاعد وعمّهم كريستين كابتل بعصبيّة ظاهرة «ربّما كان لهذه النار معنى!»

وبعد أن تصرّف المعنيّون فرحين. خرج ويلدينغ وبيده شطر الرمح وهو ينظر أمامه إلى النار الصادرة في دار بوستاسيا ويردّد لنفسه «أجل يجب السماء يسعى أن ذهب إليها» ثمّ أخذ المسير على النار كأنّه يطيع أمر استدعاء

وعندما كان الفروبيون يحتفلون ويغنون في الخارج خرجت بوستاسيا وأخذت طريقها إلى رينبارو، ثمّ وقفت بلا حراك. وكانت ملتفعة بعباءة بدت فيها مهيبة طويلة القامة. وأخذت تتأمّل تلك الوحشة الّتي لفّت المكان كانت كأنّها تنصت إلى ريح آتي ما برحت تعصف في نعمات شتى

بعد أن هبطت بوستاسيا من فوق الرابية عادت إلى دار جدّها الواقعة في مكان منعزل على مرتفع مستوفر. والمنحاضة بالحدائق والحدائق. وكان التلّ الصغير قرب المنزل غير ذي ريح، وكان جانب من الدار محميًا بدغل من شجر الشربين، وانتشرت منه بركة كبيرة

وكان في الحديقة حوض شمش الّذي يتولّى إيقاد النار لبوستاسيا. فرفع رأسه عندما دنت منه بوستاسيا.

سَأَلَتْهُ مُسْتَفْسِرَةً: هَلْ سَمِعْتَ صَوْتَ الضَّفْدَعِ؟

«أَجَلْ يَا سَلْمَى. سَمِعْتُهُ مُنْذُ بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ.

«هَذَا يُنْبِئُ عَنْ قُرْبِ سُقُوطِ الْمَطَرِ. فَيَحْسُنُ أَنْ نَذْهَبَ إِلَى دَارِنَا الْآنَ

وَقَدْ كَانَ حَوْلِي مُنْصَرِفًا سَمِعَ صَوْتًا آخَرَ. هُوَ صَوْتُ حَجَرٍ مَقْذُوفٍ. وَكَانَ هَذَا إِشَارَةً إِلَى خُصُومٍ وَيَلْدِينَ وَيَلْدُونَ جَوْنِي قَدْ سَمِعَ الْحَجَرَ الَّذِي دَرَى بِهِمْ.

هَمَسَ وِيلْدِيف: «لَقَدْ حَرَمْتِنِي رَاحَةَ. فَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ بِيقَدَ نَارٍ كَانَ بِشَارَةً بِ
كَدَعْوَةٍ بِحُضُورٍ. كَمْ فَعَلْتِ فِي بَعْدِ بَصَرِي!

«مَعَ كُلِّ مَرَّةٍ أُخْرَى ظَهَرْتِ عِنْدَمَا تَقَصَّيْتُ يَدَيَّ مِنْكِ. يَا دَمُوث. حَتَّى سَبَقْتَ
أَنْ رَفَعْتَ سَبَّابَتَهُ. وَمِنْ ثَمَّ حَسِبْتُكِ لَا تَرَيْنَ عَلَى وَفَائِكِ لِي. وَبِهَذَا السَّبَبِ قَرَّرْتِ بِشَفَاءِ
لِبَصَرِي. وَقَدْ وَثِقْتِ أَنَّكِ سَوْفَ تُنْزِلُكِ مَدَّ تَعْنِي بِكِ نَارٌ وَكَيْ. حَرِّقِي. يَا دَمُوث.
هَلْ عَدَلْتِ عَنْ رَوْحٍ فِي نُحْصَةٍ لِأَخِيرَةٍ لِأَنَّكِ لَا تَسْتَطِيعُ تَحَمِّي عَنِّي وَسَتَصَّ تَحْمِي
بِي لِأَبَدِ؟»

أَحَبَّ شَيْءٍ مِنْ نَصِيبِ «نَعَمْ وَإِلَّا فَفِيمَ خُصُورِي؟ ثُمَّ أَضَافَ: «تَعْنِي أَنَّكِ
سَتَرَيْنِي مَرَّةً أُخْرَى؟»

«فَقَطْ إِذَا عَثَرْتُ بِي أَنَّ رَوْحَ تَعْنِي لِأَنَّكِ أَحْبَبْتِنِي أَكْثَرَ مِمَّا تُحِبُّهُ!»

«إِنَّمَا جِئْتُ طَائِعَةً لِأَسْتَدْعِيَكِ حَسْبِي هَذَا!» أَجَابَ وِيلْدِيف بِلَهْجَةٍ ثُمَّ انْتَقَلَ.
وَانْصَرَفَ كَذَبْتِ جَوْنِي مَشْدُوهًا دُونَ أَنْ يَلْحَظَهُ أَحَدٌ.

كَانَتْ يُوسْتَاسِيَا تَقِيَّةً ذَاتَ ثَوْبٍ أَبْيَضَ. وَدَتْ شَعْرٍ فَاحِمِ لَيْلٍ وَعَيْنَيْنِ نَاعِسَتَيْنِ
حَرِفَتَيْنِ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ. تُذَكِّرُ الْإِنْسَانَ بِهَيْفَاءَ مِنْ آلِهَةِ الْإِغْرِيقِ. لَكِنَّهَا مِنْ حَيْثُ الْأَصَالَةِ
كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. كَانَتْ أَحَدَ كِبَارِ قَادَةِ فِرَقِ مُوسِيقَى عَسْكَرِيَّةٍ فِي
كُورْفُو، وَعِنْدَمَا تُوُفِّيَ قَامَ عَلَى رِعَايَةِ صَغِيرَتِهِ الْمُدَلَّلَةِ الصَّغِيرَةِ وَحِيدَةِ الَّتِي كَانَ قَدْ تَقَاعَدَ
مِنَ الْجَيْشِ وَتَفَرَّغَ وَعَاشَ فِي بَيْتِهِ سَحِيقٍ وَقَعٍ بِإِغْدُونِ هِيثَ. وَقَدْ حَرَصَ عَلَى أَنْ
تَتَلَقَّى صَغِيرَتُهُ قَدْرًا صَبًّا مِنَ التَّعْلِيمِ

لَقَدْ كَرِهَتْ يُوسْتَاسِيَا إِغْدُونَ هِيثَ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَتَّفِقُ مَعَ طَبْعِهَا. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدِ
اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُحِيطَ نَفْسَهَا بِهَالَاتٍ مِنَ الْجَلَالِ وَالرُّومَانْسِيَّةِ. وَكَانَ قَصْدُهَا الْأَسْمَى أَنْ
تُحَبَّ إِلَى حَدِّ الْجُنُونِ. وَكَانَتْ تَتَوَقُ. وَبِرَحْمَةِ الْأَلِهَةِ. أَنْ تَلْقَى الْحُبَّ. فَإِنَّ حُبَّ
مُنْتَهِبٍ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ نَوْعٍ حُبٍّ ضَعِيفٍ يَثْمَرُ سُلُوكٍ

كَانَتْ تَعْرِفُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَنَّهَا رَاحَتْ فِي وِيلْدِيف مُجَرَّدُ سَوَى تَرْحَمُهَا مِنْ رَتَابَةِ
الْيَوْمِيَّةِ. وَلَوْ قُيِّضَ لَهَا رَحِيلٌ كَثِيرٌ فَتَاةٌ لَانْهَتْ عَلَاقَتَهَا بِوِيلْدِيف إِلَى الْأَبَدِ.

رأى جوني سانتش وهو عائدٌ إلى بيته، عربة الصّبّاغ ديغوري قيس محمرّاء. وكان مثل مُعظم الفتيان يزهوه كثيرا. فلمّا سمع الصّبّاغ صرخة جوني المكتومة رفع رأسه صائحًا: «مَنْ هُناكَ؟»

ردَّ عليه الآخرُ: «جوني سانتش، يا سيّدي. كنتُ أتولّى إيقاد النّار عن الآنسة يوستاسيا، وقد صرفتني عندما جاءها أحدُ السّادة ليراها.»

«هَلْ سَمِعْتَ ما دارَ بَيْنَهُما مِنْ حَديثٍ؟»

«أجَلْ، يا سيّدي. قالَتِ الآنِسَةُ يوستاسيا إنّها تعتقدُ أنّه لمْ يقترنْ بفتاة الأخرى لأنّه أحبّها هي أكثر من الأخرى وآثرها عليه.»

«وَماذا قالَ لَها ذلِكَ السَّيِّدُ؟»

«أكّدَ لها أنّهُ يُحبّها أكثر من الأخرى.»

صاح الصّبّاغ: «هذا هُوَ السِّرُّ. أليس كذلك؟»

وبعْد أن انصرف الصّبيُّ أخرج ديغوري قيس من حيث ستْرته رسالة قديمة باهتة وقرأها باهتمام بالغ. وكانتْ مؤرّخة بتاريخ سابق عنْ ذلك اليوم بعامين.

«عزيزي ديغوري قيس.

أنا لا أستطيعُ الاقتران بك أو السّماح بك بأنْ تلتغوي حبيبتك. إنّي أحبُّك ودائما كنتُ أضعُك في مكانه تالية لأمّي كليم. وليس معنى ذلك أنّ شخصا آخر يشغلني. إنّ امرأة عمّي لنْ توافق أبدا على مثل ذلك الزّواج. تريدني أنْ أنظر إلى أعلى وليس لمجرّد فلّاح بسيط يصنعُ منتجات الألبان. وإنْ أقترن برجل ذي حرفة سوف تظلّ دائما في خاطري الرّجُلَ النّبيلَ.

صديقتك المخلصة توماسين يورايت».

منذُ تلقّى ديغوري قيس تلك الرّسالة لمْ ير توماسين حتّى ذلك اليوم الّذي التقطها فيه مِنْ وَسَطِ الطّريق عقِبَ فشل زواجها. وفي حينه أمل كان قدْ هجر مهنة صناعة الألبان واستقرّ على حرفة أقلّ مكانة. ومردودها قليلٌ، هي حرفةُ الصّبغة

وقلقه ولهفته على توماسين دفعا من وجهه أن يتمم بكلّ ما يحرق بين وبلديف ويوستاسيا، ودلك بالمداومة على مراقبة ريبارو.

وفي إحدى الأماسي لمحهما جالسين معًا على الهضبة الصغيرة، فراح يزحف حفنة إلى موقع أفضل يمكنه فيه أن يسترق السمع، لعله يدرك شيئا مما يدور.

قالت يوستاسيا: «إليك عني وتزوج بتوماسين. فإنها أقرب إلى مكانتك الاجتماعية.»

«إني لا أستطيع لتحيي عنك. وفي الوقت نفسه لا أحب أن أحدش كرامتها. فإنها لفتاة طيبة سليمة الطوية.»

ردت عليه قولها: «حسن. إذ لم تكن تحبها حقيقة فمن قبيل الرحمة أن تدعها وشأنها؛ فهذا هو الطريق الأمثل. ولكن خبرني أتحبني حقا؟»

«أحبك ولا أحبك!»

أحبت يوستاسيا وهي واثقة نفسها «يمكنك أن تبتعد عن طريقي. بيد أنك لن تستطيع سلبي وستظل على حبك لي طول حياتك.»

«وإني لكذلك. يقينا إني لكذلك.»

قال وبلديف ذلك في غير قليل من القلق. ثم مضى يقول: «إني أكره الوحشة لأني سوف إغدون وإنك أيضا لكذلك. لماذا إذا نظل هنا؟ ألا تصحبيني إلى أمريكا؟»

قالت وهما يتمشيان أسفل الهضبة: «مسألة فيها نظر. أعطني مهلة للتفكير.»

أخرن ديغوري فين ما سمعه منهما، وأحس بالإشفاق على توماسين، وردد في نفسه: «ماذا أفعل؟ ماذا أستطيع أن أفعل؟ أجل. لا بد أن أقابل يوستاسيا فاي تلك!»

وما إن أسفر صباح اليوم التالي حتى استدعى ديغوري فين رباطة جأشه كي يذهب لمقابلة يوستاسيا فاي، ومن حسن حظه أنها وافقت على لقائه.

يدرك ديجوري في يقوله: «لديّ أنباءٌ غيرُ سارّة عن السّيّد ويلديف. يا سيّدتي إنّه من المُحتمل ألّا يتمّ زواجه بتوماسين يورايت. وإحدى الشّخص الوحيد في هذه النّاحية الّذي يُمكنه مدّ يد العون».

بقيت يوستاسيا ساكتة لا تنبس. ومن ثمّ أحسّ ديجوري أنّ من الخير أن يكون أكثر وضوحًا. فقال: «يا آنسة لي. إنّي لعلى علم تامّ بسرّ يجري بينك وبين سيّد ويلديف وقد سمعتُ حديثكما على تلّ رينارو الليلة الماضية. وليس ثمّة غيرك من يقف بين ويلديف وتوماسين. وإنّه لمن الأفضل أن تبتعدي عنه».

ثمّ يوستاسيا فقد ارتجفت شفتها، وامتقع لونها وراحت تغمغم: «لستُ على ما يُرام، ولن أستطيع الاستماع إليك أكثر من ذلك. أرجوك، دعني وشأني!».

أصغى الصّيدلانيّ ومضى لحال سبيله. وبينما كانت يوستاسيا تدلف إلى الدّار انتشلت تردّد لنفسها: «كلّا، لن أبتعد عنه لا، لن يكون ذلك أبدًا!».

قرّر الصّيدلانيّ، الّذي كان مُصرًّا على مساعدة توماسين، أن يتّصل بسيّدة يورايت. فما إن لمحها على البُعد تخرج من شطر الفندق «الكوايت وومان» حتّى وجدها فرصة سانحة، ووجّه إليها الخطاب قائلًا في احترام بالغ: «سيّدتي يورايت، إنّي قلقٌ على الآنسة توماسين، وأريد أن تعرفي أنّي سأكون خير سعيد إذا ما تشرّفتُ بالاقتران بها وأنا لستُ فقيرًا كما يتراءى لك. بل إنّني لستُ أقلّ من ويلديف».

ردّت سيّدة يورايت بأدب جمّ: «أشكرك لك لهتمامك بتوماسين لكنّها قالت مرّاتٍ عديدة إنّها ستقترن بالسّيّد ويلديف الرّجل الّذي أحبّته حقيقة لا يوجد عليّ أكثر من هذا. ظنّ يوستاسيا». وولّت السّيّدة يورايت فيمّمه شطر الفندق، وقد شجّعها الطّلب الّذي قدّمه لها الصّيدلانيّ. ورفع من معنويّاته.

كان ويلديف متواجدًا في «الكوايت وومان»، فوصل صيحته، الّتي لم تصيخ دقيقة واحدة، إلى الرّدهة العامّة فقالت: «لعلّك لا تدري أنّ رجلًا آخر قد ظهر في الميدان ليقترن بتوماسين».

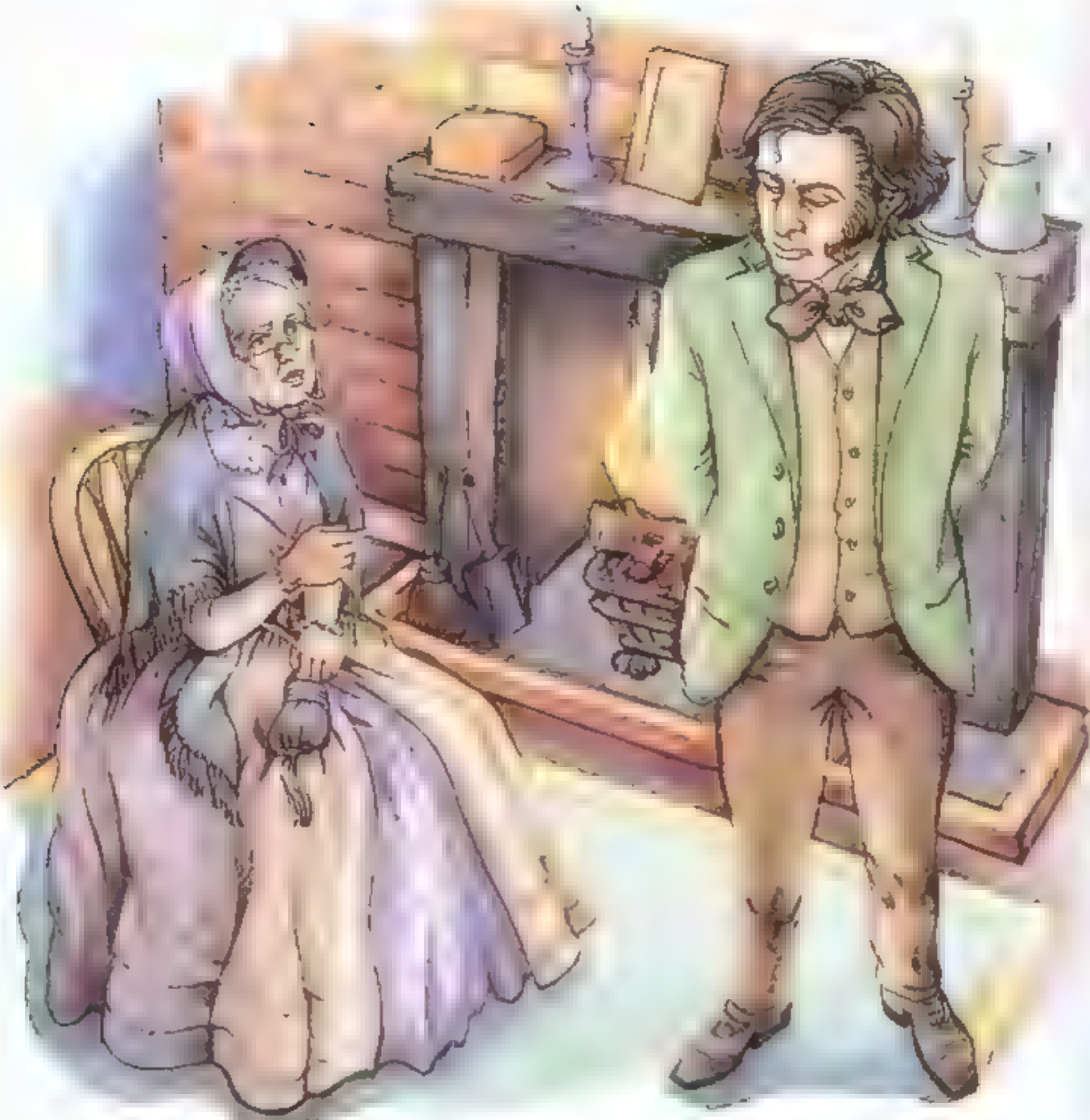

قالَ وَيلْديف حَسَنٌ إذا رَغِبتْ فيه ولكِنْ أنّى عَرَفْتِ أنّها ستَقْبَلُهُ بَعْلًا؟

وَيْحَكِ يا كَلِيتَ! وَيْحَ عَيْنَيْكِ عُلامَهْ. أنْتِ سَتَجِدينَ مِنْ بَيْتِكِ لَمْسَرَةٍ. وَمِنْ ثَمَّ سيجِدُّ حَدْسُ كِبْرِيائِها في قَبولِهِ

صاحَ السَّيِّدُ وَيلْديف بِشَيْءٍ مِنَ الحِيرَةِ. حَسَنٌ سأدْرُسُ هذا المَسْأَلَةَ. وَرُدَّ عَيْنَيْكِ في غُضونِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ.

وَسَحَبَتِ السَّيِّدَةُ بِوَبِيت رَصِيَّةَ بَحيرَةِ بِرِعَةِ

في تلك الليلة قام ويلديف بزيارة خاطفة لبوستاسيا، وصرّح لها في لهفة وقلق قائلا «لقد تطوّرت الأمور تطوّرا خطيرا يجب الآن أن أصل إلى قرار. فأولا وقبل كل شيء أتوقعين على تركك هذا المكان إلى الأبد، وتصحبيني إلى خارج البلاد؟»

سألته بوستاسيا «مذا حدث فجأة هكذا؟»

أجاب: «أخبرني السيدة يوبرايت أنها تودّ أن أتركك توماسين، لأن رجلا آخر يتمنى الاقتران بها، ولا إخاله إلا ديجوري فين!»

صرخت فيه «آه فهمت! أنت تريد أن تتزوجي لأنك لا تستطيع الاقتران بها!»

وأدركت أنها فازت بويلديف، لكنها أحست بالنصر مهين، إذ إنها ليست سوى بديل مؤقت لمحبيها الشديد الولهان!

وزج ويلديف بصديق الحياق عليها حتى تصل إلى قرار حاسم، وباشدته أن يعطيها مهلة للتفكير، وقالت: «وبفرض أن توماسين تريد التخلص منك. فمن لي بذلك سرعة!» فأجابها ويلديف في شيء من الصبر. «لا عليك، فلتقابل في ريتارو يوم الإثنين لتقدم في نفس الموعد، وإلى لقاء حتى نتقابل»

كانت ثمرة دبلوماسية السيدة يوبرايت جديرة بالملاحظة حقا، رغم أن ذلك كان مخالفا لما قد توقعته، وعلى ما يبدو كان لتلك الدبلوماسية وقعها على ويلديف ولكن تأثيرها على بوستاسيا كان أكثر. ذلك أن حبيبها لم يعد ذلك الرجل المثير الذي يستحق أن يقتل المرء من أجله

عادت بوستاسيا إلى دارها تعيسة مهمومة. إلا أن ذلك الحزن الذي نفذ إليها حدثها قد بدأ يزول من معنوياتها

لا بأس يا بوستاسيا. إلا عالمة بمقدم الساعة كيم يوبرايت الأسبوع القادم. لقضاء عطلة رأس السنة مع والدته وهو شاب وسيم عاش في باريس مدينة الزخرف والضياء والفتنة.»

أما بوستاسيا فقد بدأت تخلق حقائق. ترى أيمكن أن تتحقق الأحلام؟

في حديقة قصر بحري كان همفري وسام، عاملا لأرض تملكها، يكوّمان كتل
الحطب ونخرجه حفنة بعد حفنة. وكان يتحدثان وقد كان سام مصمما فقد سمع
صوتهما مسجلا بوضوح. وقد سمع حديثهما وتكلمت عنه مطولا

قال همفري: نعم، كان يعيش في باريس وكنا نقول إنه تاجر خمر وهو
ثري. وله مدخل قوة وطلاء تعلو مثل لآلئ. فرنسا مملوءة بالكتب والأفكار
عن هذه الحياة وهي وكيم يمكن أن يكونا شيئا مختلفا

قال لآخر: أصبت كيم بحقيقة إن أسرة كيم كريمة تماما مثل أسرتها. وإنه
يسعدني أن أراها روجين حقا. إني يسعدني ذلك!

عندما وصل كيم في موعده المحدد إلى منزل وسط في بلوم هد حملا عددا كبيرا
من الحقائب. اختارت بوستين غرفة عارية في أن تزور وتتحدث معه

وراحت تتمشى في حمس مدست مقتربة عن الأرض مسبحة في أنحاء منزل
سيدة بوريت عنها تقريبا. لكنها فشلت في إجراء أي اتصال بذلك الشاب الغامض.
لأي شيء من باريس. وأخيرا عاد حتى تحدث في رأسها. تهيأت وتصورت
زوجة سيد يكون من أمر فسوف ما. راحت تحصل بقدميه

ولي لأسبوع ثلاثة ليلة أمس ثلاثة. كل ثلاثة تقيد قديما يتبع في عدون، وهو
عرض مسرحية من حوج. وهي مسرحية صامتة يقوم تمثيلها شبان

وكانت تلك مسرحية تصور تنافس بين رجلين. وتتضمن حبكة عريضة من
شخصيات. مثل من حوج وخدم تركي وقصب. وكانت تمثل بعبقرية
وحيوية. وبشعر غير معروف. وملابس في غاية الأناقة وتعد عروضها من أرقى
أنواع الدراما وأحط صوف الكوميديا

وكانت بروفات تجري دائما في حضيرة مشيدة بسقف قديم. وفي خلال
ذلك جلست بوستين من شرفة وهو أحد مقاعدين بها تعرض لأول مرة في
دار سيدة بوريت. حيث عوده كيم وأدرك بوستين بها بملاصقها بالمسرح
تشجيع عودة. مدخون في دار سيدة بوريت وأنها قامت فعلا بها كيم.

هكذا استغنتْ يوستاسيا بإعجاب شارلي الشديد بها لتستعير سترته. وبذلك يسمح لها بالانخراط في زمرة الممثلين.

وكان العرض في دار السيدة بوريت مهيأ يدعو إلى الإعجاب. واستطاعتْ يوستاسيا أن تتعرّف كليم عن كثب، آمنة في منبسها المستعار. أخيرا دعي الممثلون لتناول طعام العشاء، لكنّ يوستاسيا لم تغامر بخلع خوذتها لتأكل. بيد أنها تمكنتْ من تناول بعض الشرابِ دون أن تفصح عن هويتها.

وقد أترعها بالجذلِ اكتشافها أنّ كليم بوريت بدا كأنّه يوليها اهتمامه، حتى وأخيرا نهض ووقف بجوارها بعض الوقت. ثمّ قال لها «يخيل لي شكلٌ عربيٌ. إذ يخيّل إليّ أنّك فتاةٌ!»

قالتْ مقرّة بذلك: «وإني لكذلك!»

قالَ كليم: «وفيمَ اشتراكُكِ في مسرحيّةٍ صامتةٍ؟ الفتياتُ قلّما يفعلْنَ ذلك.»

أجابتْ: «طلبًا للإثارةِ ولانفضَ عن نفسي غبارَ الشعور بالملل.»

ولمْ يعقّبْ كليم وإنّما ابتسمَ واستأذنها في الانصراف.

وشعرتْ يوستاسيا بسرورٍ بالغٍ وارتفاعٍ في معنوياتها؛ فها قد أذابتِ الجليدَ حقًّا!

لكنّها وهي في طريقها إلى دارها في تلكَ الليلةِ ظلّتْ تردّدُ بانفعالٍ: «ليتني تركتُ دامون يتزوّجُ توماسين! لولاي لكان ذلك قد تمّ.»

وتحرّكتْ يوستاسيا سترته. في صبيحة اليوم التالي تصفّحتْ نشرة ديعوري فيل في مسؤعته. وإذ تنبّه لها عصيمُ اختلسه توماسين طلبتْ منه أن يحمل رسالة إلى ولديف. وقالتْ له «يجبُ أن تقرأ ما كتبتْ. لقد فعلتُ ما أمرتني أنت أن أفعل.»

وفي شيء من الحيرة قصّ شعري في صالون حلاقة
في شيفيلد وبلدين

بعد شيء من الروية وبعد تفكير طويل قررت أن يكون هذا الشيء هو قص شعري. وقد حدثتني وحدثتني كثيرات من صديقاتي وقريباتي أن أقص شعري. وقد كان أخي الأكبر أحمد هذه الحفلة حين سمعت بحلاقة

يوشيبي

من حسن حظ بلدين أن هذه الحلاقة لا تستوجب حلق شيء من شعر الرأس أو اللحية. وكان أمر مختوم. فقد صحت عزيمتي على قصي شعري نومي ولا أقل من ذلك. فحاولت أن يخلو من عزيمتي تلك قصار. من خلال توبيخه بقصة شعرة حسن. يا سيدتي أنت الآن حرة تفعلين ما تشاءين. فقد صبت أختي في روح نومي حب حرية بها قصة شعرها

بل تكلم مسرحية قصة شعري في شيفيلد حتى عاد كلهم ومضى مرارة حياته وقصة شعرة أيام معهم

في تلك الفترة عيشها في بلدين زيارة شيدة يوريت. وصديقها ونومي قد وصلا تزينات ملازمة لإنسان روح. وأنا يشعر روح في غضون يومين. وأكد لهما أنه لن يطرأ أي تغيير أو خطأ على هذا الموعد المضروب.

وفي الموعد المحدد حرمت نومي على مذهب وحدها. فما بها شيدة يوريت أشد إيلاء. ولكن لم يمض طويل وقت على ذلك حتى كان في حفلة شيدة يوريت أشياء أخرى تتصل بتفكير. ذلك أنه ما كادت نومي تذهب حتى عاد كلهم في حالة بديهة من الصبر. وكان كلهم قد سمع بما جرى نومي من هناة على يد بلدين. وعزم على الوصول إلى حيلة لأمر وكشف سحره. فقد كان غضبه لا حدود عنده. حرمته منه في تلك اللحظة كان يجري رفاف نومي في بلدين دون حضور أحد من أفراد الأسرة

صرح كلهم. أي. ما سمعت أن تحريري بهذا من قبل؟

ثُمَّ شَكَرَتْ رِعِحَتْ يا كيم. دِيثْ بِعِمْي كَمْ كُنْتَ دائِمًا كَبِيرًا شومسين وَأَنْتَ لا تَتَصَوَّرُ كَمْ عانَيْتُ ضِدَّ هذِهِ الأَسابِيعِ السَّبْعَةِ الأَخِيرَةِ!

«وَلَكِنْ مِنَ العَدْلِ أَنْ نَضَعَها في هذا السِّياقِ ثانِيَةً! رَجُلٌ مَشْكُوكٌ في نِيَّتِهِ تَمَنَّى أَنْ يَحْتَفِظَ في مَحْضُورٍ في مَوْقِعِهِ. إِنِّي أُصِرُّ على هذا حَتَّى أَكُونَ بِجانِبِها».

على أَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَبُوحَ قَلَقُ ديفوري فِي عَيْنَيْهِ. فَتَدارَكَتْهُ سَيِّدَةُ بوريت سائِلَةً: هَلْ تَمَّ رَوْحُها؟ فَأَجابَ أَجَلْ. يا سَيِّدَتِي. لَقَدْ شَهِدْتُ كُلَّ شَيْءٍ.

سَأَلَتْهُ السَّيِّدَةُ بوريت وَهَلْ حَضَرَ زَوْجُ أُخْتِكَ؟

قالَ ديفوري وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ بَعْضُ ضِيقٍ. لا سَيِّدَتِي.

سَتُفَسِّرُ كيم. وَمَنْ هِيَ لا سَمَحَ اللهُ؟

أَجابَتِ السَّيِّدَةُ بوريت حَبِيبَةُ لِكَيْتِ تِي. تَقِيضُ في مِسْتُوقِرْتِ. وَهِيَ حَقًّا مَغْرُورَةٌ جِدًّا مِنْ بَدْماوث وَلَمْ تُصادِفْ هَوًى في نَفْسِي

بَعْدَ أَنْ وَدَّعَ الصَّباحُ السَّيِّدَةَ بوريت وكيم. عَدا تِلْكَ ناحِيَةٌ وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَراهُ في إِغْدُونَ هِيثْ لِعِدَّةِ أَشْهُرٍ. وَكانَ كُلَّما نَفَى مِنْ مَسْكَنِهِ سَبَبٌ في وادي الصَّغِيرِ بِيْ سات نَفْسُهُ هُوَ بَعْضَ خَوْفِهِ مِنْ

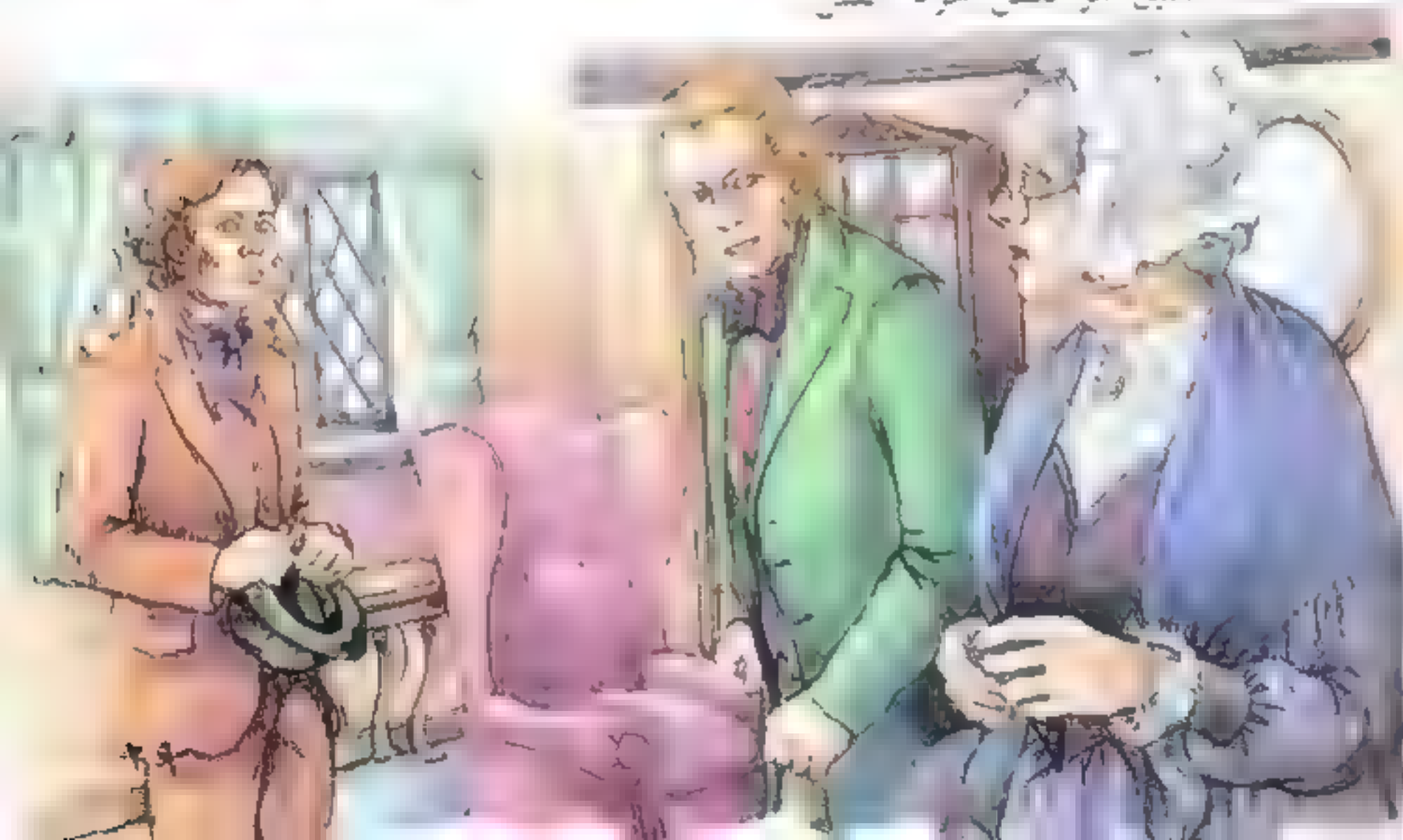

لم يُبدِ كليم أيّة رغبة في العودة إلى باريس، رغم انقضاء فترة زمنيّة طويلة ومن ثمّ فقدْ بات أهلُ البلدة حيارى. وكان كليم على علم بهذه الحيرة

في صبيحة أحد أيّام الآحاد، كان جمعٌ منهمْ أمام صالون الحلاق، فدنا منهمْ صائحًا: «والآنَ، يا قومُ، أما كفاكمْ ثرثرةً عنّي؟»

اعترفَ تيموثي قائلًا: «إنّنا لا نفهمُ لماذا تتعلّقُ بهذه الجهة وقدْ سبقَ لكَ أنْ عشتَ في عالَمِ تجارةِ الحليّ؟ هذهِ حقيقةٌ ما دارَ بيننا».

قالَ كليم: «حسنًا! إنّي مُخبِرُكمْ، وإنّهُ ليَسُرُّني أنْ أتيحَتْ لي هذه المناسبةُ لكيْ أُخبِرَكمْ بأنّني أقلُّ تفاهةً هنا منّي في أيّ مكانٍ آخرَ. وقدْ أحسَسْتُ مؤخّرًا أنّ عملي في باريس كان أكثرَ تفاهةً وأشدَّ غرورًا. وأقرَبَ إلى روحِ الإنسانِ بالنسبةِ لأيّ رجلٍ كانَ! وهذا ما أدّى بي إلى هذا القرارِ الحاسمِ».

ونظرَ سكّانُ المرجِ بعضُهمْ إلى بعضٍ في حيرةٍ شديدةٍ، وتابعَ كليم:

«قرّرتُ العودةَ إلى أرضِ الوطنِ وافتتاحَ مدرسةٍ تكونُ قريبةً منْ عدونَ بقدرِ المستطاعِ، لكنّهُ كانَ لزامًا عليّ أنْ أدرسَ أوّلًا وأتعمّقَ في الدرسِ للحصولِ على المؤهّلاتِ اللازمةِ. وبهذهِ الطريقةِ يكونُ في مقدوري تقديمُ أعظمِ خدمةٍ لجيراني».

وفي غمرةِ السكونِ الذي أعقبَ ذلكَ التصريحَ مضى كليم في سيرهِ عبرَ المرجِ.

قالَ فيرويي وهو يهزُّ رأسهُ: «لنْ يستطيعَ تنفيذَ ذلكَ».

أمّا همفري فقدْ علّقَ: «إنّها فكرةٌ سيئةٌ. ولكنْ ليتهُ يهتمُّ بأمورهِ».

كانَ الشغلُ الأشغلُ لكليم في هذه الحياةِ أنْ يربطَ بينَ الحياةِ البسيطةِ والفكرِ الرفيعِ لقدْ أحبَّ المرجَ. فقدْ نشأَ فيهِ وتفتّحتْ عيناهُ عليهِ. وكانتْ لعبتهُ من الأدواتِ الحجريّةِ التي عثرَ عليها فيهِ. وكانتْ أغصانًا من كثبانِ الأزهارِ الأرجوانيّةِ والسنديانِ الصغيرةِ. أمّا بالنسبةِ لبوستانيّ فقدْ كانَ المرجُ وكلُّ ما دلَّ عليهِ موضعَ كراهيةٍ ومحطَّ بغضاءٍ. وذلكَ على العكسِ منْ كليم الذي كانَ يراهُ رمزًا للحبِّ

عقد كلم عزمه يوماً على أن يطلع أمه على خطته. فقال «لستُ عائداً إلى باريس، يا أمي. فإني أكره ما كنتُ أتولّى من عمل هناك إنه تعبد، وأنا أريد أن أنهض بعمل ذي قيمة هو أن أكون مدرّساً أعلّم الفقراء والجهّال الذين جعلهم المجتمع دثر أذنه.»

قالت له أمه وهي تحدره على مرفق مدموع: «هل يمكن أن تفعل هذا بعد لدي بذل من عناء من أجل استهلال طيب لك في هذه الحياة؟ إنّ تخيلاتك هذه سوف تكونُ سببَ دمارك وسوء حالك.»

قال: «ما لديّ حيلة. إني لأبغض عملي الرّاق في باريس.»

وقطع حديثهما فجأة دخول كريستيان كانتل أصغر أبناء عز الدين كانتل، فسألته السيّدة بوبرايت: «ماذا وراءك، يا كريستيان؟»

قال: «يا سيّدتي، في صبيحة هذا اليوم، وبحن أثناء الصلاة، بدت صرخة مروّعة، واتضح أن سورل نسائش تحت الآسة ذي بارة حورب طويلة، على مألوف عادتها في الوعيد.»

كان ذلك تهديداً من سوزان ليوستسيه قاني - كي تضع حداً لفتنتها أنها تصغير جوني نسائش وأخواته ومحاولة إغوائهم. الأمر الذي تكرر ودام

فما كان جوابُ السيّدة بوبرايت إلا قولها: «يا للهول!»

ومرّ أسبوعٌ سوى أيام على ذلك. حتى توجه كلم مدفوعاً بغريزة حثّ لاستطلاع إلى دار الصنصاف قاني، ورفقته بعض الفرويين الذين كانوا يضحون بثر لحديقة. وقد عزم على لقاء تلك السيّدة الساحرة التي حضرت دون سابق إنذار حفلة غرّس توماسين

وبينما كان العمّال منهمكين في عملهم قدم كلم نفسه للشابة الفتنة التي كانت واقفة على مقربة منه. وكان تيموثي فيرويي يساعدها في تصميد يدها التي كانت قد خرجت من حبل البئر عندما انزلق من يدها وهي تحرّك بزال الدلو في البئر.

قالتْ يوستاسيا : «هذه هي الإصابةُ الثانيةُ في خلال هذا الأسبوع .. ليس من المُفيدِ اتّخاذُ إجراءٍ ضدَّ امْرَأةٍ قَرَويَّةٍ جاهلةٍ مِثْل سوزان تَنْساتش !»

قال كليم «لقدْ عُدْتُ لأريل بُيوت العنكبوت والبُرَهات والأباطيل . أو تُحبّين أنْ تُساعديني في تعْليمهم ؟»

أجابتْ : «يؤْسفني أنْ ليس لي أيُّ حماس في هذا الموْضوع . وبي لا أُحبُّ مُوصيَ كثيرَ بلْ أُبْغي أحْيانًا بعْضَهم !»

سألها «أشْعُرين بالوحْشة والعُزْلة هنا في إعدون ؟»

قالتْ يوستاسيا «أحلْ . ولا أُطيقُ المزْح »

عاد يسْألها «أتقولين ذلك عنْ صدْق ؟ عنْدي أنّ المزْح مُنْهجٌ للْعيْش ، وهو يُقوّي الإنْسان ويُسرّي عنْه إنّهُ عنْدي بالقياس إلى حياة العُزوبة في باريس الجنّةُ بعيْنها .»

فعلّقتْ «أمّا أنا فإحالُ شوارع باريس العريضة أقْرب لقلْبي منْ ها هنا !»

أحسّ كليم في ذلكَ اليوْم وهُوَ في طريقه إلى مَنْزله أنّ خُطّتَهُ في طريقها للنّجاح . فقدْ دخلتْ فيها فتاةٌ جميلةٌ ، ومنْ تلْك لآونة ضعف كليم اهْتمامهُ بدراسته ، فكان يسْتذْكرُ عامّة اللّيْل بطوله ، إلّا أنّهُ كان يخْرُجُ للتّنزّه على المزْح ساعة الأصيل .

وفي إحْدى الأمْسيّات وَصَلَ كليم إلى داره مُتأخّرًا فألْفى أمّهُ تنْتظرُهُ في قلق . فقال «كُنْتُ أسْتمْتعُ بنزْهة طويلة على المزْح » فسألتْهُ : «وهلْ قابلْت يوستاسيا هناك ؟»

أجاب «أجلْ . قابلْتها لبُرْهة ، لكنّ ذلك لمْ يكُنْ بناءً على مواعدة .»

قالتْ أمّهُ في تهكّم «لا بُدّ مثْل هذه المقابلات لا تكونُ كذلك !»

ومرّت الشّهورُ وازْداد هيامُ كليم بيوستاسيا وفي ليْلة منْ ليالي بواكير فصْل الرّبيع عاد منْ إحْدى لقاءاته الّتي أمْسَتْ منْتظمةً بيْنهُ وبيْنَ يوستاسيا . وعقبَ العشاء قالتْ أمّهُ : «يا لسُرْعتك ! أيْ كليم ، إنّك لتُمْضي حياتك هنا وما ذاك إلّا بسببها . إنّها امْرأةٌ كسْلى شرهةٌ لمالك تسْعى إلى ربْط حياتك بامْرأة ؟»

«ثَمَّةَ أَسْبابٌ عَمَلِيَّةٌ. إِذا أَنْشَأْتَ مَدْرَسَةً سَأَحْتاجُ إِلى عَدَدٍ مِنَ المُعَلِّمِينَ.»

صَرَحَتْ فيهِ أَنَّهُ «مِنْ» تَعْني حَقيقَةً أَنَّكَ تُريدُ الإِقْتِرانَ بِها.»

وَمَنْ إِذا سَمِعَ هٰذِهِ الكَلِماتِ خَرَجَ مِنْ غُرْفَةِ

أَمْضى كَثيرٍ مِنْ يَوْمِهِ الثّاني مُتَجَوِّلًا. وَقَدْ أَحَسَّ أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَجِدَ قَرارًا حاسِمًا.

وَلِذٰلِكَ تَوَجَّهَ في المَساءِ إِلى مَقْهًى يُوسْتاسْيا.

ردّ كليم يوسْتاسْيا قائلا . «ليس من المعقول أنْ سير هكذا عليْنا أنْ نتزوّج »

قالتْ يوسْتاسْيا «يجبُ أنْ أفكّر حدّثني عن باريس .

«شدّة ما أكْرهُ التحدّث عنْ باريس !»

«لا تنسى عهْدَكِ بي ، إنّي أحبُّكِ رغْم اشْتياقي للحياة في باريس »

وبعْد أنْ افْترق لحبيبان تلْك الليْلة ، اتّجه كليم سيرا إلى داره حيْرى مُشتّت الرّوح ، يسائلُ نفْسهُ كيْف يُوفّقُ بيْن المطالب المتعارضة لأمّه ويوسْتاسْيا ، وبيْن خطّته هو

ولحق الرّبيعُ بالشّتاء . وسرْعان ما راح الصّيْفُ يقْرعُ الأبْواب وفي أحد أيّام شهْر مايو عادت السّيّدة بوريت بعْد الظّهْر من زيارة لتوماسين في الكويت ووجدتْ ، ودخلتْ على ابْنها فقطعتْ عليْه مذاكرتهُ ثمّ دخلتْ في الموْضوع مُباشرة

«شُغِلَ بَالَكِ شَيْءٌ فِي مُنْذُ أَنْ وَيُوسُفُ قَدْ تَمَّتْ خِطْبَتُكُمَا.

نَعَمْ، يَا أُمِّي. لَكِنَّنِي سَأَتَزَوَّجُ قَرِيبًا.

«وَتُرِيدُ أَنْ تَضْطَجِعَ هُنَا بِجَانِبِي عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ؟»

«كَلَّا. سَأَبْقَى هُنَا حَتَّى تَفْتَحَ مَدْرَسَةً فِي بَدَمَاوِثَ. وَسَوْفَ تُسَاعِدُنِي يُوسُفُ.»

لَقَدِ اعْتَمَدْتَ عَلَى يُوسُفَ لِكَيْ يُحَقِّقَ لَهَا مَعْمُودَةً غَيْرَ مَضْمُونَةِ الْعَوَاقِبِ لَيْسَ ثَمَّةَ فَتَاةٌ مُحْتَرَمَةٌ تَتَجَوَّلُ عَلَى مَسْرَحٍ لَيْلًا وَنَهَارًا كَمَا تَفْعَلُ يُوسُفُ. وَهَذَا لَيْسَ كُلَّ شَيْءٍ. بَلْ لَقَدْ كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رُوحِ تُومَاسِينَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ عَلَاقَةٌ غَرِيبَةٌ.

«يُوسُفُ صَدِيقَتِي لَكِنَّهُ... لَا يَعْنِي أَنْ تَخْتَفِيَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. لَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ فِي تَرْتِيبٍ لِقَاءٍ بَيْنَكِ وَبَيْنَ يُوسُفَ. لَكِنَّ ذَلِكَ لَنْ يَكُونَ لِأَمْرٍ مُسْتَحْسَنٍ.»

خَرَجَ كَيْمِ وَأَخَذَ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ جَلَالَ الْمَسْرَحِ فَيَمَّمَ شَطْرَ رِيدْرُوثَ حَيْثُ كَانَتْ يُوسُفُ تَنْتَظِرُهُ، وَرَاحَ يَقُصُّ بِهَا خُصَّهُ مِنْ أَمْرِ هَكَذَا يُوسُفُ. لَا بُدَّ مِنْ زَوَاجٍ فِي حَيِّ مَا دَامَتْ مِنْ مُقَوِّمَاتِ يَكْمِيلَ. وَلَنْ يَقِفَ عَائِقٌ فِي سَبِيلِكَ بِمُكْنَتِكَ أَنْ تُقِيمَ مَعَهَا فِي كُوخٍ صَغِيرٍ عَلَى الْمَسْرَحِ حَتَّى تُتِمَّ دِرَاسَتِي. وَبَعْدَهَا تَتَّخِذُ دَارًا فِي بَدَمَاوِثَ لِتَكُونَ مَدْرَسَةً. وَلَنْ يَسْتَغْرِقَ ذَلِكَ طَوِيلَ وَقْتٍ.

وَتَصَرَّفَ كَيْمِ بِنَجَاحٍ. فَقَدْ سَبَحَ صَبَاحَ يَوْمٍ ثَانٍ حَتَّى مُتَأَخِّرٍ كُوخٌ صَغِيرٌ فِي رِيدْرُوثَ عَلَى مَسَافَةِ مِيلٍ فِي مَكَانٍ مِنَ الْمَسْرَحِ مُنْعَزِلٍ. وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ شَرَعَ فِي حَزْمِ كُتُبِهِ وَمُتَعَلَّقَاتِهِ. وَلَهِجَ بِمَا هُوَ مُقَدِّرٌ فِي يَوْمٍ ثَانٍ

قَالَ لِأُمِّهِ: «عِنْدَمَا يَسْتَقِرُّ بِنَا الْمَقَامُ فِي بَدَمَاوِثَ وَيُوسُفُ فَأَرْجُو أَنْ تَتَكَرَّمِي بِزِيَارَتِنَا.»

هُنَالِكَ تَطَلَّعَتِ السَّيِّدَةُ بُورِيتْ إِلَى ابْنِهَا بِوَجْهٍ لَاحَ فِيهِ الْأَلَمُ الشَّدِيدُ. وَهِيَ تَرُدُّ عَلَيْهِ: «لَا أَظُنُّ قَضِيَّةَ ذَلِكَ!»

قَالَ: «إِذًا فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حَفْلٌ وَلَا خَفْلٌ يُوسُفُ، يَا أُمِّي.»

وَإِذْ قَالَ هَذَا نَهَضَ فَقَبَّلَهَا. ثُمَّ فَتَرَقَ وَفِي قَلْبِ كُلٍّ مِنْهُمَا مِنَ الْهَمِّ وَالْحَسْرَةِ مَا تَنُوءُ بِحَمْلِهِ الْجِبَالُ.

وجاء موعدُ لِقاء. وكانت السَّيِّدةُ بورايت الجالسةُ وحدَها في البيْت تتعجَّبُ ممَّا كان يحْدُثُ في الجانب الآخر من المرْج. فما إنْ حلَّت السَّاعةُ الثَّانية عشْرة حتَّى قرَع سَمْعَها صَلْصلةُ الأجْراس مُعْلنةً وُفاقَ يوسْتاسْيا إلى أنَّها

ردَّدتْ لنفْسها: «قضي الأمْرُ ولكنْ سوْف يأْتي اليوْمُ الَّذي يعضُّ فيه سان لَدم »

ومضى الزَّمنُ وأشْرقت الشَّمْسُ فوْق إعدون مُحوِّلة الجنْح الأرْجوانيَّ إلى اللَّوْن القرْمزيّ. وكان كليم ويوسْتاسْيا قد اسْتقرَّا في كوخهما في ألْدرْويرْث على الجانب الشَّرْقيّ لإعدون، يعيشان عيشة السَّاطة مُسْتمْتعيْن بالسَّعادة

وبعْد بضْعة أسابيع من الرَّاحة والاسْترْخاء. عاد كليم فاسْتأْنف دراستهُ مُكبًّا عليْها. ولمْ تفْقدْ يوسْتاسْيا حُلْمها في عوْدة كليم إلى باريس برُفْقتها

وفي أحد الأيَّام نمى إلى السَّيِّدة بورايت أنَّ يوسْتاسْيا كانتْ في طريقها إلى ميستوفر بلا بزيارة حدَّد، ومنْ ثمَّ عزمتْ على أنْ تذْهب لترى يوسْتاسْيا هُناك بدلًا منْ زيارتها في كوخها في ألْدرْويرْث.

وَمَا إِنْ بَلَغَتِ السَّيِّدَةُ يوبريت ذٰلِكَ المَكانَ حَتّى ٱنْقَضَّتْ يوسْتاسْ في الحَديقَةِ

قالَتِ السَّيِّدَةُ يوبريت : إِنَّما جِئْتُ لِأَراكِ!

قالَتْ يوسْتاسْ مُحْنِقَةً : «حَقًّا؟ غَيْرَ مُنْتَبِهٍ لِأَنَّ تَغَيُّبَ السَّيِّدَةِ يوبريت عَنْ حَفْلِ الزِّفافِ. ثُمَّ ٱخْتَفَتْ. «لَمْ أَنْتَظِرْ حُضورَكِ. فَقَدْ كُنْتُ أُحِسُّ أَنَّكِ ضِدّي.

رَدَّتِ السَّيِّدَةُ يوبريت : «إِنَّهُ لا يُخْجِلُني أَنْ أُصارِحَكِ بِالحَقيقَةِ. لَقَدْ كُنْتُ ثابِتَةً على مَبْدَئي في مُعارَضَةِ زَواجِ ٱبْني. أَمّا الآنَ فَقَدْ قَبِلْتُهُ. وَالحَقيقَةُ أَنّي مُسْتَعِدَّةٌ بِتَرْحيبٍ بِكِ بِرَغْمِ يَقيني أَنَّكِ لَسْتِ كُفْأً تَمامًا لِٱبْني

أَمّا يوسْتاسْ فَقَدْ بَرَّحَ بِها الغَضَبُ عِنْدَ سَماعِها ذٰلِكَ التَّعْليقَ. وَصاحَتْ بِها في حِدَّةٍ : «لَوْ دارَ مَحَلّي في تِلْكَ الآوِنَةِ ٱلَّتي سَأَعيشُ في زَريبَةٍ مَكْشوفَةٍ في هٰذا المَرْجِ الموحِشِ لَفَكَّرْتُ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ قَبْلَ أَنْ أَقْتَرِنَ بِٱبْنِكِ! إِنَّكِ تَظُنّينَ قادِرَةً عَلى عَمَلِ الشَّرِّ. لَقَدْ أَوْعَزْتِ إِلَيْهِ بِأَنَّني شَجَّعْتُ لِنْدْ وَيِلْدينْ عَلى ٱتِّهامِهِ بي. وَهٰكَذا أَنْتِ دائِمًا تُسَمِّمينَ أَفْكارَهُ وَتُوغِرينَ صَدْرَهُ عَلَيَّ!»

وَحينَ عادَتْ يوسْتاسْ إِلى بَيْتِها، بَدا لَكِ أَنَّها مُضْطَرِمَةٌ غايَةَ الٱضْطِرابِ. وَصاحَتْ فيهِ بِمَرارَةٍ : «لَقَدْ رَأَيْتَ أُمَّكَ وَلَمْ تَرَها مَرَّةً ثانِيَةً! لَقَدْ أَهانَتْني بِزَعْمِها أَنَّني لَسْتُ كُفْأً لَكَ كَزَوْجَةٍ. وَأَلْمَحَتْ إِلى أَنّي بِسَبيلِ تَدْميرِ حَياتِكَ. فَفَقَدْتُ أَعْصابي وَتَفَوَّهْتُ كِلانا بِعِباراتٍ لا يُمْكِنُ أَبَدًا غَفْرُها. آهٍ يا كيم! دَعْنا نَخْرُجْ مِنْ هٰذا كُلِّهِ. خُذْني إِلى باريس وَعُدْ إِلى عَمَلِكَ القَديمِ.»

قالَ : «لٰكِنَّكِ نَعْسَمينَ، يا يوسْتاسْ. أَنّي طَرَدْتُ هٰذِهِ الفِكْرَةَ عَنْ بالي مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ. وَبِالطَّبْعِ لَمْ أَمْلِكِ بِالأَمَلِ في أَنْ نَذْهَبَ إِلى باريس.

قالَتْ وَهِيَ تَبْكي : «أَنا مُقِرَّةٌ بِذٰلِكَ. لٰكِنّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ الإِنْصاتُ إِلى آرائي.»

«حَسَنٌ! هُناكَ أُمورٌ ٱتَّفَقْنا عَلى أَلّا نَسْتَرْسِلَ في مُناقَشَتِها. فَضَّلْتُ أَنْ نَتَّفِقَ عَلَيْها بِالرِّضا وَالقَبولِ

عقب هذه الأحداث المؤسفة راح كيم يسعى إلى ما يحقق عنه حلمة العباء ولم يجد سوى المصير في الاستذكار حتى أحس أن عينيه تؤلمانه. فلما ازدادت الحالة سوءا ذهب إلى الطبيب الذي أشار عليه بالمكث في غرفة مظلمة لمدة أسبوع، وأن يكف تماما عن القراءة لفترة ما. ثم نصح له بعد ذلك بقضاء فترة استرواح طويلة في الهواء الطلق.

وفي إحدى جولاته تقابل مع همفري قاطع شجر الزعتر أثناء تفقده لممارسه عمله، وهذا ما أغراه بالتفكير في أن يحترف تلك الحرفة الصحية الدافعة. لفترة من الزمان ومن غير عرض هذه الفكرة على يوستاسيا حتى عصست، إذ أفزعتها الفكرة حتى امتقع لونها وصاحت معترضة: «كلا، كلا، يا كيم!» ولكنه كان مصرا. لذلك ما انصرم سوى يوم أو يومين حتى بدأ كيم مهنته الجديدة وكان يعمل مرتديا الملابس الجلدية الخشنة، حاملا يده المنجل وكان يبدأ في الرابعة فجرا، ثم يستريح ساعتين عند الظهيرة ويستأنف العمل حتى غروب الشمس.

لقد قطع ياخ قلب يوستاسيا مشهدها وهو على المرح. رجلا مسكينا يرتجف العدمات والألم، عاريا في عرفه مكتويا بحرارة الشمس اللافحة. وليس من أحد على عمله إلا ذريهمات لا تسمن ولا تغني من جوع. وأحست بالمهانة. وما انفكت تذرف الدموع سخينا على خطاء آمالها المضمى. بل لقد راودتها الرغبة في هجره.

وفي ليلة من ليالي الصيف الدافئة، ولكي تخفف يوستاسيا من آلامها. أخبرت كيم بأنها ذاهبة إلى قرية مجاورة لمشاهدة رقص الزيميات. ثم تصادف أن لقيت هناك دومون ويلديف. فطفقا يتمشيان عبر الأرض الفسيحة غير شاعرين بأن الصناع ديغوري قين، الذي كان قد عاد إلى العمل في تلك المنطقة، قد لمحهما معا.

أما ديغوري، الذي لم يرل منعقدا بتوماسين، فطفق يهرول نحوها ناحية الكوابيت ووراء حيث كانت توماسين ترقب أوته ويلديف. فقالت لديغوري وهي مطمئنة لا يداخلها أي شك فيه «لا بد أن دومون عائد الآن.» فأجاب «نعم. لقد رأيته منذ لحظات يشتري حصانا آية في الجمال. بوجه أبيض وغرة أسود.»

عَقَّبَتْ تومسين وِيلْدَة: «شَيْءٌ مُذْهِلٌ! إِنَّ نَسْلَ فِي حَاجَةٍ إِلَى خُرُوجٍ آخَرَ

وَسَتُدْعَى دِيغُوري فِي الْإِبْصَرَافِ وَتَصْرُفُ وَإِنْ بِيَ إِلَّا عَشْرُ دَقَائِقَ حَتَّى يَلْحَقَ وِيلْدِيف دِرَهْ فَحَيَّتْهُ رُوحَتُهُ بِأَحْسَنِ تَحِيَّةٍ. وَسَأَلَتْهُ «أَيْنَ تِجِصْنُ. يَا دَمُوب؟ إِنَّ أَحَدَهُمْ رَآكَ تَقُودُهُ إِلَى هُنَا. وَيَقُولُ إِنَّهُ فِتْنَةٌ بِوَجْهِهِ الْأَبْيَضِ وَعُرْفِهِ الْأَسْوَدِ».

«عَجَبًا! مَنْ يَأْتِ بِهِذَا؟

«دِيغُوري فِين نَصَّاحْ

«كَلَّا. إِنَّهُ غَلْطَةٌ. رُبَّمَا رَأَى شَخْصًا يُشْبِهُنِي.»

قَالَ وِيلْدِيف دِبْتْ وَهُوَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ عَمَّا كَانَ فِين قَدْ شَرَعَ فِي شَنِّ هُجُومٍ عَلَيْهِ!

وقدْ ثبتتْ صحّةُ ذلك ، فإنّ ديغوري ، وقدْ لحظ أنّ ويلْديف قدْ حدّد أتعابهُ بيوستاسْيا وأنّهُ تعوّد أنْ يرى ماشيا عبْر المرْج أمامَ كوخِها ، شرَعَ في العَمَلِ . فذاتَ مَساء عثرتْ قدمُ ويلْديف في حبالة كان قدْ نصبها لهُ في أحد المرّات . وبعْد بضْعة أيّام قامَ ديغوري ، الّذي كان مُختبئا في تلْك الناحية ، بإطْلاق النّار في مسار ويلْديف . هذه الأحْداثُ قدْ نالتْ منْ حماسة ويلْديف في القيام برحْلاته اللّيْليّة .

بعْد هذه الحال قام ديغوري بزيارة للسّيّدة يوبرايت ، وأعْطاها تقْريرًا وافيًا عنْ مرض الّذي ألمّ بعيْن كليم ، وكيْف أنّهُ انْتحد منْ قطْع الأخْشاب حِرْفةً مؤقّتة . ولمْ تكُن السّيّدةُ على علْم بأيّ منْ هذه التّصوُّرات ، إذْ كانتْ قدْ رفضتْ أنْ تزورَ يوسْتاسْيا . وهكذا اغْتنم ديغوري فيْ هذه الفرْصة السّانحةَ المُتمخّضةَ عنْ هذا الخبَرِ السّيّئ ، وراحَ يُراوِدُها بأنّهُ أوْلى بها – لطلَبِ الطُّمأنينة – أنْ تقومَ بزيارةِ كليم ويوسْتاسْيا في كوخهما .

قالت لسّيّدة يوبرايت موافقة على دلك وقدْ هزّه وضْعُ ابْنِها المُهينُ : «أجَلْ ، أكونُ سعيدة أكبر سعادةٍ لوْ تمّ التّصالحُ بيْنَنا . سأعْملُ بنصيحتِكَ ، وإنّي لماضيةٌ لإراهما .»

في الوقْت الّذي كانَ ديغوري يُحاولُ إقْناعَ السّيّدةِ يوبرايت بالصُّلْح ، كانَ كليم يُقْنعُ يوسْتاسْيا في الدّرويْت بنفْس المَوْضوع .

قالتْ يوسْتاسْيا لكليم : لنْ أضع أيّة عقبةٍ في طريقك ، يا كليم . لكنْ لا تتوقّعْ منّي القيام بالخطْوة الأولى ..

كانت السّاعة توشكُ على الحادية عشْرة تقْريبا . في صباح يوْم صائف منْ أيّام شهْر أغسطس ، عنْدما بدأت السّيّدةُ يوبرايت سيْرها عبْر المرْج فيمّمه شطْر بيْت ابْنها . وذلكَ في محاوَلةٍ منْها لإصْلاحِ ذاتِ بيْن بيْنها وبيْن كليم ويوسْتاسْيا .

ولمّا لمْ تكُن السّيّدةُ يوبرايت قدْ زارتْ تلْك الدّار منْ قبْل ، فلمْ تكُنْ تعْرفُ على وجْه التّحْديد الطّريق إليْها ، ومنْ ثمّ سألتْ عن الطّريق أحد الحصّابين فقال لها «سيّدتي ، أترين الحطّاب الّذي يتحرّكُ هناك؟ إذا تبعْته ، فسيبْلغُ بك الدّار .»

لمْ يمْض طويلُ وقْت حتّى أدْركت السّيّدةُ يوبرايت ، منْ مشْية وحركات ذلك الحطّاب الّذي كانتْ تقْفو أثرَهُ ، أنّهُ ابْنها . فما إنْ رأتْهُ على تلْك الهيْئة حتّى عشيتْها صدْمةٌ جائحةٌ

كان كليم يحوم حوله على مسافة خطوة ميل على الأقل منه. بيد أنه اضطر إلى أخذ قسط من الراحة في ظل بعض الأشجار. فسمح حوله بتفتيش الذي كان يلتقط بعض ثمار الكرز. فتح بين الأشجار فترة يكفي لمشاهدة كل الأحداث التي تلاحقت. إذ همست السيدة يوريت بالذهاب بعد أن استراحت لبضع ساعة فوجئت برجل آخر يدنو من الباب وراحت ترقبه وهو يطوف حول المنزل كمن يستطلع قبل أن يدخل الدار حقيقة. ودنت السيدة يوريت إلى المدخل حيث كان قفاز اليد وخطاف قطع الأخشاب وخرم قد تركهم كليم حال دخوله المنزل.

لم تدرك السيدة يوريت أن ذلك الرجل ما كان غير ويلديف. الذي كان قد عزم على أن يزور يوستاسيا في وضح النهار. حتى ولو كان كليم متواجدا. متذرعا بأن زيارته لا تزيد على كونها زيارة اجتماعية بريئة

وقر ويلديف على الباب نقرة هادئة. ففتحت يوستاسيا الباب. وسمحت للزائر بالدخول. وقالت بصوت خفيض «لا تقلق! كليم يغط في نومه في الغرفة الداخلية»

ودفعت يوستاسيا باب الزاوية فانفتح وحمل ويلديف عندما شاهد كليم راقدا في سلته العميق على بساط مفروش على الأرض. وقد بهكه تعب من وعثاء عمل الصباح. انتقض الحبي بين سترة ويلديف الأنيقة وملابس رعاة الخشنة. ملابس الكوخ. حر في نفسه حرا

على أنهما قبل أن يتما كلامهما كان ثمة نقرة على الباب الأمامي فيممت يوستاسيا شطر الوافد وتطلعت من خلاله ثم همست في أذن ويلديف قائلة «إنها السيدة يوريت! ما الذي جاء بها في وقتي! لقد ارتابت في صداقتنا الماضية وأنحت باللائمة عليّ إني مقتت تلك المرأة. ولن أفتح لها لقد جاءت ضيفا لزيارة كليم. وهكذا يستطيع هو أن يأذن لها بالدخول» وعندما سمع هذه النقطة أحس بكليم وهو يتململ في رقدته ويهتف همهمة شبه مكتومة: «أمي.»

قالت يوستاسيا «نعم إنه يقصدك. وسيمضي إلى الباب يحسن أن تتسلل خارجا. يا دمون تنحي من هذا الطريق»

وَما كادَتْ تَفْرُغُ مِنْ كَلامِها حَتّى بادَرَتْ إلى البابِ الخلفيِّ فَأخْرَجَتْ وَبديف بن لحَديقَةِ الجَرْداءِ الَّتي عَبَثَتْ بِها يَدُ الإهْمالِ. وَبِذلِكَ كانَ في اسْتِطاعَتِهِ مُغادَرَةُ المكان دونَ أنْ يَلْحَظَهُ أحَدٌ.

وَمَكَثَتْ يوسْتاسْيا بِضْعَ دَقائِقَ قَبْلَ أنْ تَدْخُلَ الغُرْفَةَ الخلفيَّةَ كَيْما ترى كلِم وأُمَّهُ. بَيْدَ أنَّها ما إنْ فتحت الباب حتّى تَبَيَّن لها بدهْشَتِها أنَّ كلِم لَمْ يَزَلْ في سَريرِهِ وَحْدَهُ. فهَرْوَلَتْ إلى الباب الأمامِيِّ فلَمْ تَجِدْ أحَدًا وتوارت السَّيِّدَةُ بويرايت وقَدْ بانَ مِنْها الأسى والحُزْنُ. ثُمَّ قَصَدَتْ عائِدَةً إلى دارِها وهي تَهْمِسُ: «هذا كَثيرٌ جِدًّا. كَيْفَ يَتَحَمَّلُ كلِم هذا الفِعْلَ؟ كانَ في الدّارِ وَأُغْلِقَ البابُ دونَ أُمِّهِ!»

وَانْطَلَقَتْ تُجالِدُ شِدَّةَ القَيْظِ، غَيْرَ أنَّها اضْطُرَّتْ إلى الرّاحَةِ آخِرَ الأمْرِ. وَفي اللَّحْظَةِ نَفْسِها أقْبَلَ حوفي نَسانْتش الصَّغيرُ عَبْرَ حَمَرٍ. ولَمْ تَفُتْهُ مُلاحَظَةُ مَظاهِرِ الإعْياءِ على وَجْهِ السَّيِّدَةِ بويرايت فسألها: «أأنْتِ مريضةٌ، يا سَيِّدَتي؟»

عَنْعَنَتِ السَّيِّدَةُ بويرايت: «لَقَدْ أغْلَقَ بابَ ابْني دوني! لَمْحَتْني زَوْجَتُهُ مِنْ خِلالِ النّافِذَةِ وَأبَتْ أنْ تَفْتَحَ لي الباب. لَقَدْ أغْلَقَتْهُ دوني!»

وَإذْ غابَ عَنْ جوفي إلى أيِّ مَدًى وَصَلَ بِها الإعْياءُ، انْطَلَقَ في سَبيلِهِ وَقَدْ حَيَّرَتْهُ غَمْغَماتُها. بَعْدَ ذلِكَ عالَجَتِ السَّيِّدَةُ بويرايت الوُهوضَ على ساقَيْها وَراحَتْ تَتَرَنَّحُ على الممرّ.

وفي اللَّحْظَةِ نَفْسِها تَقْريبًا كانَ كلِم يَصْحو مِنْ نَوْمِهِ وَقَدْ أنْعَشَهُ ذلِكَ النَّوْمُ. وتَطَلَّعَ مِنَ النّافِذَةِ ثُمَّ تَوَجَّهَ بالقَوْلِ لِيوسْتاسْيا: «أسْتوحَ في رِدْفِ أسْتوحَ وأُمّي لا تأتي لتزورنا. إنّي لذاهِبٌ إلَيْها اللَّيْلَةَ لأراها وإنّي أعْتَقِدُ أنَّها لَعاجِزَةٌ عَنِ السَّيْرِ في الحَقْلِ وَحْدَها.»

في وَقْتٍ مُتَأخِّرٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَغْمَ احْتِجاجاتِ يوسْتاسْيا الَّتي شَعَرَتْ بالذَّنْبِ، وأقْلَقَها حادِثُ بَعْدِ الظَّهيرَةِ، انْطَلَقَ كلِم عَبْرَ الأرْضِ المَسْحَةِ وعلى مَسافَةِ ثَلاثَةِ أمْيالٍ سيرًا على الأقْدامِ عَثَرَ على شَبَحِ امْرَأةٍ حائِلٍ. وشَدَّ ما أدْهَشَهُ أنَّ الحائِلَ كانَتْ أُمَّهُ الَّتي كانَتْ تُعالِجُ أنْفاسَها المُتَعَسِّرَةَ المُتَعَثِّرَةَ، وَتُقاوِمُ الغَيْبوبَةَ بِشَقِّ النَّفْسِ. فَحَمَلَها بِلُطْفٍ إلى أقْرَبِ مَأْوًى لِحَطّابٍ، ثُمَّ هُرِعَ إلى كوخِ تيموثي فيرويبي طَلَبًا لِلْمُساعَدَةِ. وَسُرْعانَ ما جاءَ العَوْنُ في شُخوصِ فيرويبي وَهمفري وَسام وَسوزان نَسانْتش وَأولي دارون وَغراندفر كانتل، الَّذينَ هُرِعوا مَتْبوعينَ بالطَّبيبِ.

في تلك الأثناء كانت يوستاسيا ترقب أوبة كليم وقد أخذ منها الهمّ والتعب. ثم قررت فجأة المضي إلى بلومز إبد. أملا في لقاء كليم وهو عائد إلى الدار. وإذ همّت بالخروج طرق سمعها صوت عربة قادمة حيث تبين أن القادم جدها.

قال الرجل يوستاسيا، هل سمعت أن ويلديف قد هبضت عليه ثروة؟ لقد مات عمه في كندا وترك له كل ما يملك. وهو مبلغ يقدر بأحد عشر ألفا من الجنيهات!»

وقفت يوستاسيا بلا حراك وسألته: «منذ متى علم ويلديف بهذا؟»

«كأنه سمع به هذا الصباح. كم كنت غبية يا يوستاسيا!»

ولما غادرها جدها راحت تضرب في الأرض. وعقلها مشغول بالنبأ المذهل. فمع أن المال لم يكن ذا قيمة لديها إلا أنها أحبت كل ما يأتي به المال.

ولدهشتها صدقت ويلديف. فبدرته قائلة «أرى من الواجب تهنئتك!»

قال «على لأحد عشر ألف جنيه؟»

«وهل رسمت خططا للمستقبل؟»

«سوف أستعمل تسعة آلاف، والباقي لقوتي السياحة عاما أو نحوه. سأمضي الشتاء والربيع في باريس ثم أشخص إلى إيطاليا وليبيا ومصر وفلسطين. وبعد ذلك آمل أن أزور أمريكا وأستراليا والهند وربما أعود إلى باريس مرة أخرى وأمكث هناك قدر ما أستطيع.» كان قلب يوستاسيا توقف عند صلة اسم باريس بذيله!

سألته يوستاسيا. وهي تكبح جماحها «وهل ستصحب توماسين معك؟»

فأجاب «نعم، إذا رغبت هي في ذلك. وإلا بقيت في جنرن.»

وإذ كان موشكين على الافتراق لحظ صوفيا أمامهما في مأوى أحد الحطابين. فذهب ويلديف يتطلع الأمر. فشاهد الطبيب والقرويين محيطين بالشيخ المسحي للسيدة بورنت. كان على قرب يسمح له سماع تعليق الطبيب وهو يقول: «يوسفي أنها لن تسترد وعيها سريعا. فقد كان الهبوط والإجهاد فوق طاقة احتمالها.»

وبعد لمح حوي ستيفن يلتقوه صارخ وني! هذه هي سرة التي
كنت أحضنها يوم. وني كنت تردد أنه لعق ... أنه دوبه.

عندئذ كرر وينديش عندما يوستس وقص وبه لكل ما سمع.

أن يوستس فقد عنت قرنة ... سمومة في دمك! إن رمن يحتسي في ويل
مص. يا وينديش. مص!

رغم ذلك ستيفن وينديش ... تنحني له محون نيتر!

هم وهذا مكمن ... جعة!

ثم تحق سيدة وريت من عبوته صلاة. فقد ... ثم ثبة

عقب هذه الأحداث المتتابعة أصيب كليم بانهيار تامّ. وكان في لحظات هذيانه تلك يُنحي على نفسه باللائمة ويحمّلها مسئولية تلك المأساة. ولم يُعزه عن ذلك شيءٌ.

وَمَهْما يَكُنْ من أمرٍ فقد بدا كليم وكأنّ حزنه قد أذاب ما بنفسه. وعادتْ إليه عافيته فأخذ يرتّب معيشته من جديد. ورحل إلى طومر إيد ليجهّز شئون أمّه

وَلَمْ يَكُفَّ كليم عن التفكير في الظروف التي أدّتْ إلى موت أمّه. وقلّب الأمر على وُجوهه: تُرى هَلْ عَرَفَتْ يوستاسيا أنّها جاءتْ؟ وَهَلْ طَرَدَتْ أمّه حقيقةً؟

ولكيْ يحصل على المعلومات الصحيحة دأب على استخلاصها من فم حوي شاتش وكريستيان كاتل. وكذلك ديبورى فين الذي عرف شيئًا عن الحادث

وبدأت الحقائق تتكشّف رويدًا رويدًا. فقد زارتْ أمّه المكان. وقرعت الباب فلمْ يستجبْ أحدٌ. ولكيْ يرتاد كليم بقيا انطلق إلى بيت سوزان شاتش لاستجواب أنها حوي مرّة أخرى

«أوتَ. يا حوي. أنّ أمّي كانتْ في طريقها إلى منزلي عندما رأيتها أوّل ما رأيتها؟»

«أجلْ. وكانتْ قبلها تستريح تحت بعض الأشجار وهي تتطلّع إلى رجل أقبل نحو الدار، ثمّ دخلها.»

«كُنْتُ أنا ذلك الرّجُل، يا جوي. عندما كنتُ أقوم بقطع الأشجار.»

«لا. يا سيّد بوترايت. كان رجلًا يرتدي ملابس مختلفة.»

سألهُ كليم كذلك. وقد برّح به الغضب بعد هذا الكشف «وماذا حدث بعد ذلك؟»

«مَشَتْ في اتّجاهِ مَنْزِلِكَ وَطَرَقَتِ البابَ. فَأزاحَتْ سيّدةٌ ذاتُ شَعْرٍ أسْوَدَ السّتارَ، ونظرتْ خارج الدّار ثمّ عادتْ أدراجها.»

راحَ كليم يتساءلُ. «يحنّ السّماء ما معنى كلّ هذا؟»

وَما طَلَعَ صَباحُ اليَوْمِ التّالي حتّى كان كليم يسير عبر المرج متوجّهًا إلى كوخه في التلال كيْ يواجه روحه بحياتها ودخل في الموضوع مباشرة قائلًا. «أخبريني السّاعة من ذلك الشّخص الّذي كانَ معكِ بَعْدَ ظُهْرِ اليَوْمِ الحادي والثّلاثينَ مِنْ شَهْرِ أغسطس. يَوْمَ أنْ أغلقتِ البابَ في وَجْهِ أمّي فقتلتيها؟ قولي الحقيقةَ وإلّا قتلتك!»

ردّتْ من خلال دموعها وتأثّرها: «لَنْ أُنْبِسَ بِبِنْتِ شَفَةٍ، وَسأظَلُّ كَذلِكَ حَتّى تُزْهِقَ روحي!»

وانهارتْ وهي تنحب في شبحها، ثُمَّ ألقتْ بشالٍ حَوْلَ كَتِفَيْها، وهبّتْ وَهِيَ تَقولُ: «إنّي راحلةٌ. سأغادرُ هذا المكانَ إلى الأبدِ.» وَغادَرَتِ الدّارَ.

كان الوقتُ هو بكير شهرِ يوڤمبر عندما قمتُ بزيارتي في دارِ جدّتي القديمة مهدودة. وليس وراءَ هذه الزيارة من الحزن غيرُ العلمِ بأنّ جدّتي راودها عقلُها أن تضع نهايةً لحياتها. وعندما لمعها خبرُ انتقالِ كليم إلى دار أمه لم تُبدِ أيّةَ بادرةٍ من تبرّم أو استغراب

وقد ظلّ شاغلي وقتي في حبّ ليستر وكيفيّ تسرّي عنها ما هي فيه من هم وحزن. عزمتُ على مفاتحتها بموضوع التبرّع كما كنتُ أعددتُ في الخامس من شهر يوڤمبر

في مَسَاءِ ذَلِكَ اليَوْمِ وَقَدْ شَارِي بَارٌ تَرَحَّحَتْ فِي حَذَرٍ. لَكِنَّ يُوسْتَسْ ثَمَّ ثَبَّتَ بِثَبَاتٍ بِانْتِظَارِ الحِسَابِ وَقَدْ أَحَسَّ بِحَيْبَةِ الأَمَلِ مَضَى هَدَفَ ثَابِتٍ ثَمَّ لَدَى لَكَانِ قَالَ. وَعِنْدَئِذٍ سَتْ يُوسْتَسْ مِعْطَفَهُ وَقُبَّعَتَهُ وَخَرَجَتْ بِ الحَدِيقَةِ

قَالَ شَارِي لَقَدْ وَقَدْتَهُ عَمَدًا مِنْ أَجْلِ حَضْرَتِكَ. يَا سَيِّدَتِي

قَالَتْ أَشْكُرُكَ. يَا شَارِي. وَلَكِنِّي أُرِيدُكَ أَنْ تَحْمِدَهُ!

ثُمَّ ذَهَبَتْ يُوسْتَسْ بَعِيدًا. وَبَيْنَمَا هِيَ وَقِفَةٌ هُنَاكَ. عَرِقَةٌ فِي ذِكْرَيَاتِهَا وَفِكْرِهَا. تَرَامَى بِ سَمْعِهَا صَوْتُ حَرِيرٍ مِنْ حَرَسٍ وَحَجَرٍ تُغْنِي فِي بِرْكَةٍ. فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا شَدِيدًا مِنْ أَثَرِ الفَاجِعَةِ وَقَسَتْ بِنَفْسِهَا بِهِ وَيْلِيفْ! وَبِرُغْمِ مَا كَانَ بَيْنَهُمَا. فَصَاحَتْ: سْتَ أَنْتَ. أَنْتَ وَقَدْ مَرَّ. لَا تَغْتَرِبْ مِنِّي كَثِيرًا!

قَالَ وَيْلِيفْ. عُدْتِ بَعْدَ. يَا يُوسْتَسْ. إِنِّي قَسَمْتُ سَوْفَ فِي هَذِهِ كُتْبِهِ!

قَالَتْ. بَلْ أَنَا وَحْدِي. لِأَنِّي لَمْ أَفْتَحْ بَعْدُ لِأَمْرِهِ.

قَالَ وَيْلِيفْ. لَقَدْ بَاعَ هَذَا لِأَمْرُ حَدًّا حَضِيرًا. وَلَمْ تَغْتَنِمْ يَا يُوسْتَسْ!»

تَحَرَّكَتْ يُوسْتَسْ فِي تَنَحُّبٍ. وَقَدِ ارْتَعَشَتْ حَتَّى لِأَعْمَاقِ مِنْ تَأْنِيبِ الضَّمِيرِ

قَالَ وَيْلِيفْ. أَرْجُوكَ سَامِحْنِي. يَا عُمَرَ لِأَحْبَابِ! إِنِّي كُنْتُ سَبَبَ دَمَارِكَ.»

كَلَّا لَسْتَ أَنْتَ. يَا دَمُونُ إِنَّهُ هَذَا لَمَكَانُ الَّذِي أَعِيشُ فِيهِ.

أَوَ تُرِيدِينَ مُعَذِّرَةً عُدُونِ بِ لِأَبَدِ؟ إِذَا كَانَ لِأَمْرُ كَذَلِكَ فَقُولِيهَا صَرِيحَةً أَحَلَّ. يَا دَمُونُ وَيُمْكِنُكِ مُسَاعَدَتِي فِي ذَلِكَ. إِنِّي اسْتَضَعْتُ حُكْمِي بِ لِدَمُوثِ فِي مَقْدُورِي قَضَى بَقِيَّةَ بَاقِيَةٍ مِنَ لِمَسَافَةِ وَحْدِي. أُرِيدُ تَرْحِيلَ بِ بَارِيسَ.»

«أَلَا أَصْحَبُكِ بِ بَارِيسَ؟ إِنِّي رَجُلٌ مُوسِرٌ لَآنَ

قَالَتْ يُوسْتَسْ سَأُفَكِّرُ فِي هَذَا لِأَمْرِ. فَإِذَا قَرَّرْتُ لِذَهَابَ وَقَوْلَ صَحِبْتُكَ فَسَأَحْدِثُ إِشَارَةً فِي حُلْمِي بَيْنِي فِي سَاعَةِ ثَانِيَةَ عَشْرَةَ فِي نَفْسِ بَيْنِهِ. تَرْصُدْنِي بِ لِدَمُوثِ لِأَتَحَدَّ قُرْبَ لِصَّبَاحِ. ذَهَبَ لَآنَ. يَا دَمُونُ. أَرْجُوكَ!

في تِلْكَ الأَثْناءِ هدأَ غضَبُ كليم في وحْدَته وَوَدَّ لَوْ عادَتْ يوسْتاسْيا إِلَيْهِ تِلْكَ السّاعَةَ. وَبَعْدَ الأَرْتقاب أَيّامًا قَرَّ رَأْيُهُ أَنْ يُحَرِّرَ خطابَ مُصالَحَةٍ وَيُسَلِّمَهُ في مَنْزِلِ الكاتِبِ فاي في اليَوْمِ التّالي. وَكانَ هٰذا فَحْواهُ:

«عزيزتي يوسْتاسْيا،

إِنَّ عَلَيَّ أَنْ أُطيعَ قَلْبي دونَ أَنْ أَسْتَشير عقْلي كثيرًا. فهلّا عُدْتِ إِليَّ، يا أَعزَّ النّاس، فالماضي لَنْ أُحْدِثَ نَدْ دكْرًا وعفا اللهُ عمّا سلف. لقدْ كُنْتُ شديد لقسْوة عليْك. عودي إِليَّ ولَوْ بلوْمي وتأْنيبي. حُبّي يَسْعى أَنْ يدوم. وإِنّي لعلى ثقة بأَنّك مُسْتطيعةٌ إِيضاح ما لَمْ يتّضحْ مِنْ قبْلُ. عودي إِذًا ولسوْف أَسْتقْبلُك بأَحرّ معاني التّرْحاب.

روْجُك على الدّوام،

كليم»

إِلّا أَنَّ يوسْتاسْيا، رغْم كُلّ هذا، لَمْ تكُنْ تشْعُرُ بتحرُّك كليم في سبيل المُصالحة، فلَمْ تزلْ يمزّقُها الشّكُّ والتّرَدُّدُ. شَيْءٌ واحدٌ كانَ يُمْكِنُ أَنْ يُغَيِّرَ رَأْيَها هُوَ ظُهورُ كليم أَمامَها بِرَغْبَةٍ صادِقَةٍ مِنْهُ في المُصالَحَةِ.

وقُبَيْلَ اللَّيْلَةِ السّادسة مِنْ شهْر يوقمْبر كانتْ قدْ تحدّدتْ عريمةُ يوسْتاسْيا على الهجْران إِلى الأَبد، ومِنْ ثَمَّ حزمتْ سلّةً من الملابس لهٰذا الغرض. ومع إِنْ وفت السّاعةُ الثّامنةُ حتّى هُرِعَتْ إِلى رُكْن الحديقة وأَشْعلتْ عود ثقاب فأَوْقدتْ حُزْمة حطب ولوّحتْ بها في الهواء. وما مضى غيْرُ لحظات قصيرة حتّى جاءها الرّدُّ بشارة مِنْ جانب الكوايت ووومان، فبعْد أَرْبع ساعات سيكون ويلْديف على أُهْبة الاسْتعْداد لحمْلها في العربة إِلى بَدْماوث، كَما تَمَّ الاتّفاقُ.

وبعْد العشاء دهستْ يوسْتاسْيا إِلى غُرْفة نوْمها لإِتْمام ترْتيبات الهرب. عنْدئذٍ دقّ تيموثي هيروبي باب الدّار وسلّم خادم يوسْتاسْيا حطاب كليم إِلَيْه. والّذي سلّمهُ بدوْره للْكاتب الّذي ما لبث أَنْ أَسْندهُ على حرْف المدْفأَة. حيْثُ توقّع أَنْ تراهُ يوسْتاسْيا.

لَمْ تظْهرْ يوسْتاسْيا للْعيان. وبعْدَ هُنَيْهة صعد جدُّها السُّلَّم وطفق يُنادِيها. لٰكِنَّ غُرْفتها

كانَتْ خاويَةً. حَتّى إِذا ما هَبَطَ الدَّرَجَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ بابَ الدّارِ كانَ مَفْتوحًا. فَأَدْرَكَ أَنَّ يوسْتاسْيو غادَرَتِ الدّارَ قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ بِرُبْعِ ساعَةٍ. فَتَرَدَّدَ وَحارَ ماذا يَفْعَلُ وَرَجَعَ إِلى الرَّدْهَةِ وَرَأى أَنَّ دِلْكَ الحِطابَ لَمْ يَزَلْ هُناكَ لَمْ يُقْضَ وَلَمْ يَزَلْ مُسْنَدًا حَيْثُ تَرَكَهُ عَلى حَرْفِ المِدْفَأَةِ.

وَقَفَتْ يوسْتاسْيو تَرْتَعِشُ تَحْتَ المَطَرِ في رينارو. وَتَرَقَّبَ وُصولَ وَيْلْدِيف وَساءَلَتْ نَفْسَها وَهِيَ تَنْتَحِبُ: «أَيَنْبَغي عَلَيَّ أَنْ أَوَلِّيَ الأَدْبارَ؟ أَيَنْبَغي عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ؟ هٰذا الرَّجُلُ لَيْسَ مِنَ الرِّفْعَةِ لِأَكونَ مِلْكًا لَهُ. لَقَدْ خُلِقْتُ لِأَشْياءَ أَعْظَمَ! إِنَّ هٰذا أَقَلُّ مِنْ نَصيبي! لَقَدْ خُدِشَتْ كَرامَتي وَزُلْزِلْتُ وَسُحِقْتُ بِأُمورٍ فَوْقَ طاقَةِ احْتِمالي!

وَعِنْدَ بُزوغِ الفَجْرِ انْتَظَرَ كَليم في قَلَقٍ الرَّدَّ المُتَوَقَّعَ مِنْ يوسْتاسْيو. بَلْ ظُهورَها بِنَحْمِها لَكِنَّهُ ما إِنْ حَلَّتِ السّاعَةُ الحادِيَةَ عَشْرَةَ حَتّى أَوى إِلى فِراشِهِ فاقِدًا الأَمَلَ. وَبَعْدَ ساعَةٍ أَقْلَقَهُ طَرْقٌ عَلى البابِ. كانَ الطَّرْقُ تومسين الَّتي كانَتْ مُبْتَئِسَةً وَمُرَوَّعَةً!

صاحتْ «آه يا كليم! ثمَّةَ مؤامرةٌ يُدبّرُها دامون ويوسْتاسْيا! ويجبُ على طفلي أنْ يموتَ سيهجُرُني. فقدْ أخبرني دامون السّاعة الثّامنة أنّهُ ذاهبٌ في رحلة طويلة ولمْ يردْ على ذلك. وكان يحملُ متاعًا كثيرًا. ثمّ لمْ يُعاودْ هذه النّاحية بعدُ. هلْ يُمكنُ الذّهابُ إليه ومُلاقاتُهُ؟»

وارتمتْ توماسين بجانب المذْفأة منهارة. كانت مثل فتاة لأنفاس

قال كليم وهو يُضيفُ مزيدًا من الحطب إلى النّار «سأنطلقُ الآن.»

وبدهشته البالغة لحظ أنّ ثقته الّتي كانتْ على درجة توماسين لمْ تكنْ غير وليدتها الّتي حسنتها معها غير المرح وقت هبوب العاصفة

وتركها كليم فيما شطرُ الكوابيس ودمار. تركها لتخفف نفسها وحفنتها أمام نار. بيْدَ أنّ توماسين لمْ يقرّ لها قرار. فمتى وليدها وراحتْ تضربُ في الأرض غير المرح تحت سطر المدرار. وفي لهفتها لملاقاة الفندق في أقرب وقت. كانتْ تلتقطُ أنفاسها لفترات قصيرة لكنّها ما لبثتْ أنْ أضاعت الطّريق في حندكة الليل المدلهم. فصاحتْ أمامها صوتًا ماهتًا. هذا الصّوتُ كان مُسعفًا من عربة ديجوري فيس

ولمّا سمع ديجوري صوتًا خرج من عربته فرأى توماسين. فقال: «ما الّذي حدث؟ هلْ مرضتْ بالمكان من دقائق؟ إحلفي لمحتْ شبح امرأة تمرُّ من هنا!»

«كلّا أنا ما حنتْ إلّا لساعة. لكنْ حتى العودة إلى الفندق لآن»

«سأصحبك. دعيني أحمل الوليدة» وانطلقا يحوصان في الوحل

سألتْهُ توماسين: «ترى كم المسافةُ المتبقيةُ إلى الفندق. يا ديجوري؟»

«حوالي نصف كيلومتر.»

صاحتْ وقد دهمتها روعٌ أخيرا: «ألمحْ نور في النّافذة»

كلّا إنّهُ نورُ مصباح عربة قرب الفندق»

قالتْ توماسين المتعلّلة «هلمّ. أسرعْ. تولّ قبل النّور وليس قبل الفندق!»

كان ويلديف يَنتظرُ على مسافة من الفُندُق عندما لاحَ له كليم فجأة في حالة هياج وقبلَ أن يَتبيّن أيٌّ منهما بيتُ شعرٍ طرق سمعَيهما صرخةٌ مذعورة

وَصَرَخَ كليم : «يا لَلهَوْلِ ! أيُمكِنُ أنْ تكونَ يوسْتاسْيا؟»

حمل كلٌّ من الرَّجُلَين مِصباحَ عربته وأسرعَ إلى السَّدّ أمّا كليم فقد أعْنى القِطرة الّتي أُشرِفَتْ على فتحاتِ السَّدّ، وحاول عبثاً أنْ يَرُدّ تدفُّقَ المياه، أمّا ويلديف الّذي كان واقفاً على الضفّةِ فقدْ أمكنَهُ أنْ يرى جسداً يدورُ كالدُّوّامة

صَرَخَ ويلديف وهُو يقفِزُ في الوَحْلِ «لَهْفي عليْكِ، يا يوسْتاسْيا!» أمّا كليم فراح يَحوصُ في الماء لِلوُصولِ إلى الشَّحّيْن اللّذَيْن كانا في الماء المُهْتاج. في تلك اللّحْظة حَلَّتْ صَرخاتُهُمْ ديعوري وتوماسين وفِئةٌ قليلةٌ مِن الحيارى وَبَدأ ديعوري يَحوصُ في الماء حَتّى اسْتَطاعَ أنْ يَقْبِضَ على أحَدِ الجَسَدَيْن وكانَ جَسَدَ رَجُلٍ، وأفْلَحَ في سَحْبِهِ إلى حافة

السَّدّ وتبِعَتْهُ الجميع. أمّا جسد رجُل آخر فتشبّث بباقي الشّخص الأوّل، إنّهُ ويلديف الّذي كان مُتمسّكاً بباقي كليم. وصفق بعضُ الفرويين يبحثُ عن الجثّةِ الثّالثة، وسرْعان ما تبيّن لهمْ أنّها في القاع. وكانتْ جثّة يوسْتاسْيا

وَحُمِلَ الثّلاثةُ إلى الفُنْدُق، وَاسْتُدْعِيَ طَبيبٌ في الحالِ. وَبَعْدَ العِلاجِ ظَهَرَتْ رعْشَةُ حَياةٍ في جَسَدِ كليم. أمّا وَيلْديف وَيوسْتاسْيا فَقَدْ فارَقَتْهُما الحَياةُ

وَإذْ جَلَسَتْ توماسين بجانبِ النّار تَبْكي وَتَرْضعُ وَليدَتَها، وَمِنْ خلْفِها ديعوري المُخلِصُ، أتى شارلي غارقاً في دُموعهِ وَوَجْهُهُ شاحِبٌ كَوُجوهِ الأمْواتِ.

صعد الجميعُ إلى أعْلى وكليم مُستندٌ إلى توماسين، فَألْقَوْا نَظْرَةً على وَجْهِ يوسْتاسْيا وَكانَ شَعْرُها الأسْوَدُ البَديعُ يُحيطُ بِمُحَيّاها الحَزين الشّاحِبِ. أمّا وَيلْديف فكانَ مُسَجًّى على الفِراشِ الآخر عَلَيْهِ مَسْحَةُ الشّبابِ النّضر.

تداول النّاسُ حكايةَ موْتِ يوسْتاسْيا وويلْديف. وظلّوا يذكرونها شهورًا عديدةً. ورَغْمَ ذلك فيْ تلْكَ الثَّرْثَراتِ المُتناثِرَةِ لَمْ يَبْدُ أنّ أيًا من الضّحيّتيْن قدْ فقد كرامتَهُ بموْتِه. فقدْ صَعّقَهُما القَدَرُ على حين غِرّةٍ وفي بَواكير حياتهما بدلا منْ أنْ يبْعث بخصْمِهِما إلى شيْخوخة تعسة

برّح الحزْنُ بتوماسين على رَوْحِها الرّاحل. بيْد أنّها شعلتْ بطفْلِها. وسْتردّتْ رُوَيْدًا رُوَيْدًا سالف هُدوئِها. ومنْ حُسْنِ حظّها أنّ ويلْديف قدْ تركها في حفْصٍ من عيْش. ولمْ يمْضِ طويلُ وقْتٍ حتّى انْتقلتْ الى دارِها القديمة في بومرْيد. حيْثُ تّحد كليم بضْع غُرف في الدّوْرِ العُلْويّ منْ أجْل دراسته وحياته البسيطة

بعْد مُضيّ حوالي عامَيْن فوجئتْ توماسين بزائر غيْر متوقّع. وكان ديعوري ڤين، تلْميذي الّذي لمْ يعُدْ يخْتالُ الآن العلامةَ الحمْراء الدّالّة على حرْفته القديمة. لكنّهُ قد ابْيضّ وَجْهُهُ وَحَسُنَ هِنْدامُهُ بفاخر الثّياب.

سألتْهُ توماسين صاحكة: «كيْف تأتّى لك أنْ ابْيضّ وجْهُك. أيْ ديعوري؟»

«صِرْتُ إلى هذا بالتّدْريج. يا سيّدتي.»

«نبوخ أفْضل ممّا كُنْت منْ قبْلُ. احْتسِ. ودوبك فنجانا من الشّاي.»

«شُكْرًا. يا سيّدتي. لكنّي لنْ أبْقى طويلا اليوْم. لعلّهُ قدْ بلغك أنّي ابْتعْتُ لآل مرْزعه ألْدن في سْتيكلفورد قوامُها خمْسون نمره.»

بعْد ذلك التّاريخ أعْلمتْ توماسين لكليم أنّها ستتزوّجُ ديعوري وأنّ ليوْمُ سعيدٌ على عجل. بيْد أنّ كليم طالما سأل عن المراسم المألوفة. وفحْوى ذلك اليوْم في حين من لكآبة أشدّ منْ ذي قبْلُ. زائرا القبْرَ أمّه ومنْهُ إلى حيْثُ رقدتْ يوسْتاسْيا في هذه المقبرة سحيقة. بعْدها قفل راجعًا إلى داره حيْثُ وجد العزاء في بطون كُتُبه

وإذْ حسّ بتطلّعْ إلى كُرْسيّ أمّه الخالي. فغمغم قائلا. «ليْتني أضعْتُ نصْحها! كُلّ هذا كان غلطتي. أوّاهْ يا أمّي! لمْ أسْتطيعْ أنْ أبْدأ حياتي منْ جديد.

ولَمْ يَمْضِ غيْرُ برْهةٍ حتّى فوجئ كليم بنقْرة على الباب. وكان انْطلقَ شاري

شاري ! يسرني أنك جئت . إن عندي شيئاً أريد أن أعطيك إياه

قال كيم هذا وذهب إلى مكتبه وأخرج منه رزمة من أوراق شتى . فحصها واستخلص منها خمسين أو ثلاثاً من شعر وجهه غزير . ثم وجدة منها في ورقة وأعطاها شاري قائلاً شاري . كنت دائماً مولعاً بها . وهي بعدها أن تكون عندك هذه الذكرى المتواضعة .

رفع شاري عقيرته في صوت محموق شكراً لك . يا سيدي يوريت شكراً لك !
ثم انطلق خارجاً والدموع تتحدر على وجنتيه .

في يوم الأحد التالي إلى إفلاف توماسين إلى ديعوري فين . تسلق كيم قمة ريسر وهناك كانت تنتظر بوشسبا منذ ستين وخمس دقائق . كان ضفدع دفئ حيث كان بعد ظهر أحد أيام صيف . وقد جمع حوله صوفيا من تفرويس مصغين إلى موعظة جمعت بين فصاحة ونصاحة . وقد رأى كيم شعر وشاربي عدقهم . ذلك لأنهم عرفوه وكانوا تحيته على ذلك المنوال ما قبل بتنقل من ريف إلى قرى صغيرة المجاورة إلى المدن . كذلك إلى الأسواق وشواطئ البحر . حيث كان الناس يحتشدون حوله مصغين . لقد وجد خير صدقة مسعودة في الحياة . ووجد معها كذلك ربح وفير .

توماس هاردي

كانَ لِمِنْطَقَةِ «وِسِكْس» - وهُوَ الاسْم الّذي أطْلَقَهُ هاردي عَلى جَنوبِ - غَرْبِ إنْكِلْترا - وَقْعٌ هامٌّ عَلى حَياتِهِ. فَفي تِلْكَ المِنْطَقَةِ وُلِدَ وتَرَعْرَعَ. وإلى تِلْكَ المِنْطَقَةِ كانَ مَآبُهُ بَعْدَ كُلِّ جَوْلَةٍ أوْ رِحْلَةٍ مِنْ أسْفارِهِ الكَثيرَةِ. وقَدْ أحَبَّ «وِسِكْس» واسْتَلْهَمَ مِنْ طَبيعَةِ أرْضِها وسُكّانِها وَحْيًا طَبَعَ مُعْظَمَ قَصائِدِهِ وِرواياتِهِ.

وُلِدَ توماس هاردي في قَرْيَةِ «بروكْهامْبتون» بِمُقاطَعَةِ «دورْسِت» في الثّاني مِنْ حَزيرانَ (يونيو) عامَ ١٨٤٠. كانَ لِوالِدَيْهِ تَأْثيرٌ مُباشِرٌ عَلى مَجْرى حَياتِهِ. فَبِوَحْيٍ مِنْ مِهْنَةِ والِدِهِ البَنّاءِ اتَّجَهَ إلى دِراسَةِ الهَنْدَسَةِ المِعْمارِيَّةِ. أمّا والِدَتُهُ فَقَدْ غَرَسَتْ فيهِ الشَّغَفَ بِالكُتُبِ وحُبَّ المُطالَعَةِ. عَمِلَ أوَّلًا في بَلْدَةِ «دورْشِسْتر». ثُمَّ انْتَقَلَ في السَّنَةِ ١٨٦٢ إلى لندن حَيْثُ الْتَحَقَ بِمَكْتَبِ أحَدِ المُهَنْدِسينَ. وقَدْ أفادَ مِنْ وُجودِهِ في العاصِمَةِ فَزادَ مِنْ مُطالَعاتِهِ وشاهَدَ المَسْرَحِيّاتِ وزارَ مَعارِضَ الفُنونِ وبَدَأَ بِنَظْمِ الشِّعْرِ.

عادَ ثانيةً إلى «دورْست» حيْثُ بدأَ تأْليفَ الرِّواياتِ. لَمْ يَنْشُرْ هاردي روايَتَهُ الأُولى «الفَقيرِ والسَّيِّدَةَ النَّبيلَة» [The poor Man and the Lady] . ولٰكِنَّهُ نالَ تَشْجيعَ أَصْدِقائِهِ، فَتابَعَ الكِتابَةَ وَظَهَرَتْ لَهُ بِضْعُ رِواياتٍ. حَقَّقَ هاردي أَوَّلَ نَجاحٍ شَعْبِيٍّ كَبيرٍ لَهُ، سَنَةَ ١٨٧٤، عِنْدَ نَشْرِ روايَتِهِ «بَعيدًا عَنْ صَخَبِ النّاس» [Far from the Madding Crowd]. وقَدْ تَزَوَّجَ في ذٰلِكَ العامِ مِنْ إيما غيفورْد.

أَمْضى السَّنَواتِ العَشْرَ التّاليَةَ في رِحْلاتٍ داخِلَ بَريطانيا وخارِجَها، ثُمَّ اسْتَقَرَّ، قُرْبَ «دورْشِسْتر»، في مَنْزِلٍ صَمَّمَهُ بِنَفْسِهِ. وهُناكَ قامَ بِكِتابَةِ رِواياتِهِ الشَّهيرَةِ، ومِنْ بَيْنِها: «مُحافِظ كاسْتِرْبِرِدْج» [The Mayor of Casterbridge]، و«سُكّانِ الأَحْراجِ» [The Woodlanders]، و«تِسّ دوبِرْفيل» [Tess of the Dubervilles]. وهٰذِهِ الرِّوايَةُ الأَخيرَةُ أَثارَتْ ضَجَّةً كُبْرى لَدى نَشْرِها، فَقَدِ اعْتَبَرَ النُّقّادُ مَوْضوعَها فاضِحًا ومُثيرًا. عامَ ١٨٩٦ ظَهَرَتْ روايَتُهُ التّاليَةُ «يَهودا الغامِض» [Jude the Obscure]، فَقابَلَها النُّقّادُ أَيْضًا بِعاصِفَةٍ مِنَ الإِدانَةِ، فَقَرَّرَ هاردي التَّوَقُّفَ عَنْ كِتابَةِ الرِّواياتِ، وكَرَّسَ بَقِيَّةَ حَياتِهِ لِنَظْمِ الشِّعْرِ، وجاءَتْ قَصائِدُهُ تُضاهي رِواياتِهِ جَوْدَةً وروْعَةً. وقَدْ تَتابَعَتْ شُهْرَةُ هاردي في التَّنامي، بِالرَّغْمِ مِنَ الانْتِقاداتِ العَنيفَةِ لِمَوْضوعاتِ بَعْضِ رِواياتِهِ، وحازَ العَديدَ مِنَ الأَوْسِمَةِ والجَوائِزِ.

ماتَتْ زَوْجَتُهُ سَنَةَ ١٩١٢، ثُمَّ تَزَوَّجَ ثانِيَةً سَنَةَ ١٩١٤ مِنْ مُدَبِّرَةِ مَنْزِلِهِ وسِكْرتيرَتِهِ فلورنْس دَغْديل. تُوُفِّيَ هاردي سَنَةَ ١٩٢٨ وهُوَ في السّابِعَةِ والثَّمانينَ.

كتب الفراشة ـ القِصَص العالميّة

١ - الدُّكتور جيكل ومِستر هايْد
٢ - أوليڤَرتْويسْت
٣ - نِداء البَراري
٤ - موبي دِك
٥ - البَحّار
٦ - المخْطوف
٧ - شَبَح باسْكِرْڤيل
٨ - قِصَّة مَدينَتَين
٩ - مونْفليت
١٠ - الشَّباب
١١ - عَوْدة المُواطِن
١٢ - الفُنْدق الكبير
١٣ - حَولَ العالَم في ثمانينَ يَومًا
١٤ - رِحْلَة إلى قَلْب الأرض
١٥ - كُنوز المِلك سُلَيْمان
١٦ - سايْلس مارْنَر
١٧ - شيْرلي
١٨ - رِحلات جَلِڤَر
١٩ - بعيدًا عن صَخب النّاس
٢٠ - مُغامَرات هَكلبري فين
٢١ - ديڤيد كوپرفيلد
٢٢ - يْليك هاوُس
٢٣ - يْلاك بيْوتي

كتب الفراشة

القصص العالميّة ١١. عَودَة المُواطِن

رِوايَة «عَوْدة المُواطِن» لِتوماس هاردي قِصَّة حُبّ مَتينَة الحَبْكَة، مُشوِّقة الأُسْلوب، تُقدِّم لَنا صُورَة عَن صِراع الإنْسان عَلى جَبَهات ثَلاث: مَع نَفْسه – أَوَّلًا – لِمُقاوَمَة حُبّ المُغامَرة والتَّسرُّع، ومَع غَيْره مِن النّاس – ثانِيًا – إذْ تَتَضارَب المَصالِح والأَهْواء والأَساليب، ومَع البِيئَة – ثالِثًا – حَيْثُ يُواجِه سِلسِلَة مِنَ الوَقائِع تُقنِعُه – في النِّهاية – بِأَنْ لا سَعادَةَ لِلفَرْد إلّا إذا كان مُنسجِمًا مَع مُحيطه.

مَكتَبة لبنان ناشِرون

01C196811